الدكتور مصطفى غالب

في سبيل موسوعة فلسفية ١٨

أبقراط

دار ومكتبة الهلال

في سبيل
موسوعة
فلسفية

أبقراط

تأليف
الدكتور مصطفى غالب

منشورات
دار ومكتبة الهلال

دار ومكتبة الهلال

بيروت ـ حارة حريك ـ شارع المقداد
ص.ب: ١٥/٥٠٠٣

مقدمة

أبقراط حكيم الحكماء ، وطبيب الاطباء ، وصاحب الفضل الاول في تحرير الطب من الشعوذات الدينية ، والآراء الاسطورية الفلسفية ، يعتبر بحق وصدق رائد الطب الحديث ، وأستاذ الاطباء ، والحكماء ، والمعلمين ، قدم في حياته وبعد مماته خدمات كبرى لأبناء البشرية ، لا تزال تذكر حتى الآن بالتقدير والاعجاب ، كما أن قسمه الذي وضعه للأطباء والحكماء لا يزال يتردد في هذه الأيام التي قطع فيها الطب مراحل كبيرة في التقدم والتطور ، ويعود الفضل الاول لهذا التقدم وذلك التطور لما قدمه أبقراط من ارشادات ونصائح لمن جاء بعده من الحكماء والاطباء ،والمتعلقة بالأعراض ،

التي ترافق مختلف الامراض الحادة والتي يمكن بواسطتها أن يستدل على مستقبل الامراض وما ينبغي لكل واحد منها من التدابير والاحتياطات ٠

وعندما نغوص في أعماق التاريخ وخاصة ما يتعلق منه بالطب في عهود الاغريق نلمس مدى تأثير أبقراط الفعال في هذا المجال الانساني الهام ، كيف لا وقد كان أول من نادى بضرورة ابعاد الطب عن الدين والفلسفة ، وما يرتبط بهما مـن تدجيل وشعوذات كانت تؤدي في أغلب الأحيان الى القضاء على المريض قضاء مبرما ٠ والالتفات الى المعالجة الجذرية الطبية بواسطةالأدوية الناجعة والارشادات الصحية الفعالة ٠

لقد كان أبقراط يعتمد في معالجته ومداواته على نظام دقيق في التغذية والحمية ، وعلى مزاولة الرياضة الجسدية أكثر من اعتماده على الأدوية والعقاقير ، لذلك زاد عدد الوافدين اليه للتداوي ، كما زاد عدد طلابه وتلامذته ، وسرعان ما أصبحوا يعدون بالآلاف ، مما زاد في مكانة أبقراط الطبية ، وجعل شهرته تعم الآفاق وتنتشر في العالم انتشار النار في الهشيم ٠ فأتاه الملوك والامراء وكبار حكام

البلدان والمقاطعات القريبة والبعيدة من مكان وجوده واقامته ٠

وكان أبقراط شديد الولع بمعرفة العواقب في الطب ،ويرى أن الطبيب الحاذق يعرف من خلال تجاربه نتائج أحوال الجسم المختلفة ، وفي مقدوره أن يتنبأ بسير المرض في مراحله الأولى ، فيبادر فورا الى معالجته بأمانة واخلاص ٠ لذلك نلمس أن أبقراط أراد أن يحفظ للطب كرامته ، وللأطباء شموخهم وانسانيتهم ، فوضع لهم قسمه العظيم الذي لا يزال يتردد في الأوساط الطبية العالمية ، ويحفظه الاطباء عن ظهر قلب ، ويعملون باخلاص على تطبيقه في كافة مجتمعاتهم ٠

وبعد وفاة أبقراط سار على منواله فحول الفلاسفة ،وحذاق الاطباء فعالجوا الناس، ووصفوا الأدوية ، وزودوهم بالارشادات الصحية ، كما أن بعضهم عكف على التأليف والتصنيف شارحا وعارضا كافة الامراض والاوبئة باسلوب علمي مكين خاصة أطباء وفلاسفة اليونان ، وحكماء الهند وفارس ٠

ولقد تم نقل وترجمة هذا التراث الطبي في

عهد النهضة الطبية في العصور العباسية والفاطمية، ونبغ أطباء حكماء قدموا للبشرية خدمات صحية وعلمية لا يمكن نسيانها على مرور الاجيال ، ومن هؤلاء الاطباء حنين بن اسحاق ، واسحاق بن حنين ، ويحيى بن ماسويه ، وعيسى بن يحيى ، والرازي ، وابن نفيس ، وابن سينا ، وغيرهم من مهرة الاطباء الذين صنفوا رسائل بديعة منطلقة مما شاهدوه من الامراض ، وعرفوا أسبابها ، ووصفوا الأدوية لها ، وبذلك مهدوا لطلاب الطب السبيل للوصول الى الهدف ، وسهلوا لهم ما كان مستعصيا وصعبا.

ورغم تقدم الطب وتنوعه في هذا العصر ، الذي أصبح فيه الاختصاص من الاهداف الرئيسية لكل من يرغب في ممارسة هذه المهنة الشريفة الانسانية، كذلك تقدمت الأدوية والوسائل الخاصة بمعالجة كافة الامراض التي كانت مستعصية ، وفي اعتقادي أن الفضل الاول يعود الى أولئك الحكماء الذين امتهنوا الطب في العصور القديمة وقدموا رغم قلة امكانياتهم بالنسبة لامكانيات الطبيب في هذا العصر المتقدم ، أعمق الدراسات ، وأنفع الأدوية لمعالجة الامراض التي كانت معروفة في أيامهم .

ومن الطبيعي بعد أن قدمنا في هذا الكتـاب

ترجمة لحياة أبقراط ، مع استعراض خاطف لما قام به من أعمال تخدم الصحة الانسانية ، أن نتلفت الى غيره من العلماء والفلاسفة الذين عاصروه وكانوا على صلة وثيقة معه ، وخاصة الحكيم أنبادوقليس الذي اكتسب شهرة واسعة في الطب والعزائم والرقى ٠

ولم ننس أيضا أنكساغوراس ، وما قدمه من نظريات فلسفية عميقة ترتبط ارتباطا كليا بالتأمل والتفكير ، وخاصة ما يتعلق منه بالنزاع الذي قام بين الدين والعلم ٠ وكذلك لم نغفل الفيلسوف الكبير ديموقريطس ، الذي لعب دورا هاما كبيرا في حياة الفلسفة اليونانية ، ونقل أثره كاملا الى اللغة العربية ، فاستعان بأفكاره بعض فلاسفة الاسلام أمثال الكندي ، والفارابي ، واخوان الصفاء ، وابن سينا وغيرهم ٠

ان ما حواه هذا الكتاب جدير بالدراسة والبحث وخاصة لأولئك الذين يرغبون في الاطلاع على المعارف الانسانية التي نقلت الينا من بقايا الحضارة التي بلغتها اليونان في يوم من الأيام ٠

بيروت في ١٩٨١/٢/١١

الدكتور مصطفى غالب

أبقـراط الحكيـم

كان أبقراط من أعظم حكماء وأطباء عصره ·
كتب تاريخ حياته الموجزة (سويداس suidas)
فقال انه ولد في جزيرة كوس في نفس العام الذي
ولد فيه (دمقريطس) ، وأصبح الرجلان صديقين
حميمين بالرغم من بعد موطنيهما ، ولربما كان
« للفيلسوف الضاحك » نصيب في توجيه الطب
وجهة دنيوية · وكان أبقراط ابن طبيب ونشأ
ومارس صناعته بين آلاف المرضى والسياح الذين
وفدوا على كوس « لأخذ الماء من عيونها الساخنة » ·
ووضع له معلمه هيرودكس السلمبري الأساس
الذي بني عليه فنه بتعويده الاعتماد على نظام
التغذية وعلى الرياضة الجسمية أكثر من اعتماده

على الأدوية • وذاعت شهرة أبقراط حتى كان من بين مرضاه حكام مثــل بردكاس ملك مقدونية ، وأردشير الاول ملك الفرس ، وفي عام ٤٣٠ ق•م• استدعته أثينة ليحاول وقف انتشار الطاعون فيها ، وأخجله صديقه دمقريطس بأن عاش من العمر مائة عام كاملة ، على حين أن أبقراط مات في الثالثـة والثمانين من عمره (١) •

يعتبر أبقراط صاحب الفضل الاكبر في تحرير الطب من الدين والفلسفة • وارشاد المريض الى ضرورة الاعتمــاد الكلي على العــلاج الطبــي ، والعزوف عن الاستعانة بالصلاة والدعاء ، ذلك ما نلاحظه في رسالته « المرض المقدس » صراحة عندما ينقد النظرية التي كانت شائعة في عصره والتي تذهب الى أن الامراض ترسلها الآلهة ، فيقول : « ان للامراض جميعها عللا طبيعية بما في ذلــك الصرع نفسه الــذي يفسره الناس بأنــه تقمص الشيطان جسم المريض : وما زال الناس يعتقدون بأنه من عند الآلهة ، لعجزهم عن فهمه •• ويتوارى المشعوذون والدجــالون وراء الخرافــات ويلجأون

(١) ول ديورانت : قصة الحضــارة جـ ٢ ص ١٨٦ .

اليها لأنهم لا يجدون علاجا ناجعا لهذا الداء ، ومن أجل هذا يطلقون عليه اسم المرض المقدس حتى لا ينكشف للناس جهلهم الفاضح » ٠

وكانت روح العصر البركليزي تتمثل أوضح تمثيل في عقلية أبقراط ، فقد كان واسع الخيال ولكنه واقعي ، يكره الخفاء ، ولا يطيق الأساطير ، يعترف بقيمة الدين ولكنه يكافح لفهم العالم على أساس العقل والمنطق ٠ لذا يقول أبقراط بعد أن شعر بوجود العقبات الكثيرة أمامه والتي تتجسد بارتباط الطب بالدين والفلسفة : « ان النظريات الفلسفية لا علاقة لها بالطب ولا مكان لها فيه ، وان العلاج يجب أن يقوم على شدة العناية بالملاحظة وعلى تسجيل كل حالة من الحالات وكل حقيقة من الحقائق تسجيلا دقيقا » ٠ ولسنا ننكر أنه لم يدرك كل الادراك قيمة التجارب العلمية ، ولكنه كان يصر على أن يهتدي في جميع أعماله بالخبرة والتجربة العملية ٠

مصنفات ابقراط :

يجمع المؤرخين على أن أبقراط كتب خلال حياته الكتب والرسائل التالية : « الحكم »

و « الأدلة » و « تنظيم التغذية والفوائد في الامراض الحادة » ، ورسالة في « جروح الرأس » وتنسب اليه مجموعة من الرسائل فيها كتب مدرسية للاطباء ، ونصائح لغير رجال الطب ، ومحاضرات للطلبة ، وتقريرات ، وبحوث ، وملاحظات ، وتسجيلات سريرية (كلينيكية) لحالات طريفة ، ومقالات كتبها سوفسطائيون ممن يهتمون بالناحيتين العملية والفلسفية في الطب • وكانت الاثنان والاربعون سجلا سريريا هي السجلات الوحيدة من نوعها في السبعة قرنا التي أعقبت ذلك العهد ، وكانت أعلى الأمثلة في الامانة باعترافها أن المرض أو العلاج قد أعقبه الموت في ستين في المائة من الحالات •

ويعتقد بعض العلماء أن أبقراط لم يكتب سوى أربعة من المؤلفات التي ذكرناها آنفا ، وما عداها فهي من وضع مؤلفين مختلفين عاشوا في أوقات مختلفة بين القرنين الخامس والثاني قبل الميلاد • وفي هذه المجموعة قدر غير قليل من السخف والهذيان ، ولكن أكبر الظن أنه ليس أكثر مما سيجده علماء المستقبل في رسائل هذه الأيام وتواريخها • وكثير من المعلومات التي في هذه الكتب والرسائل شذرات متفرقة ، موضوعة في صورة حكم

وقواعد مفككة تقترب بين الفينة والفينة من الغموض الذي يلازم كتابات الفيلسوف هرقليطس. ومن بين « حكم » أبقراط تلك العبارة الذائعة الصيت : « الفن طويل ، ولكن الوقت يمر مر السحاب » .

وما دمنا نتحدث عن مصنفات أبقراط لا بد لنا من ايراد النص الكامل للرسالة المخطوطة المعروفة باسم « تقدمة المعرفة » والمنسوبة الى أبقراط والتي حققها الاستاذ صادق كمونة من العراق وقدمها الى المؤتمر الطبي العاشر في بغداد ، عسى أن تكون فائدتها عامة وشاملة ، كونها لم توضع موضع التداول بل طبع منها عدد قليل من النسخ فقط .

« هذا كتاب تقدمة المعرفة لأبقراط وهو ثلاث مقالات ، ففي المقالة الأولى يتكلم في العلامات المأخوذة من الوجه وجميع ما فيه والدماغ والصدر والعرق والأورام الحادثة فيما دون الشراسيف (١) وفي الثانية يتكلم في العلامات المأخوذة فيما دون أعضاء النفس ، وفي العلامات المأخوذة من البراز

---

(١) الشرسوف كعصفور غضروف معلق بكل ضلع او مستط الضلع وهو الطرف المشرف على البطن .

والبول والبصاق وقيح الصدر والجراحات الحادثة في البدن ، وفي الثالثة يتكلم في العلامات المأخوذة من البحارين (١) ويستدرك أشياء بقيت له فيما مضى من العلامات ٠

المقالة الأولى في العلامات المأخوذة من الوجه والدماغ والصدر والعرق والأورام الحادثة فيما دون الشراسيف ٠

المقالة الأولى :

قال أبقراط : اني أرى أنه من أفضل الأمور أن يستعمل الطبيب سابق النظر وذلك أنه اذا سبق فعلم وتقدم فأنذر المرضى بالشيء الحاضر ما بهم وما مضى وما يستأنف وعبر عن المريض كلما قصر عن صفته كان أحرى بأن يوثق منه أنه قادر على أن يعلم أمور المرض حتى يدعو ذلك المرضى الى الثقة به والاستسلام في يدي الطبيب وكان علاجه لهم على أفضل الوجوه اذا كان يتقدم فيعلم من العلل الحاضرة ما يؤول اليه ٠ وذلك أنه لا يمكن الطبيب أن يبرىء جميع المرضى فلو كان يمكنهم

---

(١) جمع بحران وهو فصل الخطب في المخاصمة الواقعة بين الطبيعة والمرض ٠

ذلك لكان أفضل من أن يتقدم فيعلم ما سيكون من أمورهم • ولما كان بعض المرضى قد يموت قبل أن يدعى له الطبيب من صعوبة أمراضهم ، وبعضهم لا يلبث حين يدعوه أن يموت فلا يبقى الا يوما واحدا أو أكثر من ذلك قليلا قبل أن يستمد الطبيب بضاعته ليقاوم بها كل واحد من الامراض ، فقد ينبغي أن تعرف طبائع تلك الامراض التي هي مجاوزة لقوة الأبدان وان كان مع ذلك في الامراض شيء آخر سماوي ، فقد ينبغي أن يكون الطبيب بسابق النظر فيه بصيرا • وقد ينبغي أن يتقدم فينذر بموت من يموت منهم وبسلامة من يسلم وينذر بطول مرض من يدوم مرضه أياما ويقصر مرض من يلبث مرضه أياما أقل ، وينظر ان كان نفس ذلك الانسان بحال هي أردأ ، فانه اذا سلك هذا المسلك عجب الناس منه وحق لهم أن يعجبوا منه وكان طبيبا فاضلا وذلك أنه يقدر فيمن يمكن أن يسلم أن يكون أحرى أن يحفظه على ما ينبغي اذا كان قد يسبق قبل بمدة طويلة فيروي ما يقابل له كل واحد من الامور واذا تقدم فعرف وسبق فأنذر بموت من يموت وبسلامة من يسلم لم تلزمه لائمة •

وقد ينبغي أن تجعل نظرك في الامراض الحادة على هذا الطريق . أنظر أولا الى وجه المريض هل يشبه وجوه الأصحاء وخاصة هل يشبه ما كان عليه، فانه اذا كان كذلك فهو على أفضل حالاته ، فأما الوجه الذي هو من المضادة لذلك الوجه في الغاية فهو أردأ الوجوه وهذه صفته ان يكون الأنف منه حادا والعينان غائرتين والصدغان لاطيتين والاذنان باردتين منقبضتين وشحمتاهمـا منقلبتين والجلدة التي على الجبهة صلبة متمددة ولون الوجه كله أخضر أو أسود أو كمد أو رصاصي . فان كـان الوجه في أول المرض بهذه الحال وليس يمكنك بعد أن تستدل مع ذلك بسائر الدلائل فقد ينبغي لك أن تسأل هل سهر ذلك الانسان أو لأن بطنـه لينا شديدا أو ناله شيء من الجوع فان أدلى بشيء من ذلك فينبغي أن تظن به أنه أقل رداءة وكذلك تمتحن حتى تعرف هل صار الوجه بهذه الحال من قبل هذه الاسباب في يوم وليلة فان لم يدل بشيء من ذلك ولم يسكن ألمه في المدة التي حددتها قبيل ، فينبغي أن تعلم ان ذلك من دلائل الموت فان كان المرض قد جاوز ثلاثة أيام وكان الوجه بهذه الحال فينبغي أن تسأل عن تلك الاشياء التي تقدمت اليك

في المسألة عنها وتتفقد سائر الدلائل في البدن كله وفي العينين فان العينين اذا كانتا تحيدان عن الضوء أو كانتا تدمعان عن غير ارادة أو كانتا مزورتين أو كانت احداهما أصغر من الاخرى أو احمر بياضهما أو كانت فيهما عروق كمدة أو سود أو كان فيهما رمص أو كانتا مضطربتين أو ناتئتين أو غائرتين جدا أو كان لون الوجه كله متغيرا فينبغي أن تظن بهذه الدلائل انها دلائل ردية قتالة ٠ وقد ينبغي أن نتفقد ما يظهر من بياض العينين في وقت النوم فانه ان ظهر شيء من بياضهما والجفنان منطبقان ولم يكن ذلك عن ذرب أو شرب دواء ولم يكن أيضا من عادته أن ينام وعيناه بتلك الحال فان ذلك رديء قتال جدا ٠

وان كان الجفن ملتويا أو كان كمدا أو كانت الشفة أو العين أو الأنف بتلك الحال مع بعض تلك العلامات الباقية فينبغي أن تعلم ان المريض قريب من الموت ٠ وينبغي أن يجد الطبيب المريض مستلقيا على جانبه الايمن أو الايسر ويداه ورجلاه وعنقه منثنية قليلا وبدنه في نصبته رطب لأن أكثر الاصحاء انما يستلقون هذا الاستلقاء للنوم بهذه الحال وأحمد الاستلقاء استلقاء الأصحاء ٠

فأما استلقاء المريض على ظهره مع تمديد يديه ورجليه ورقبته فاقل حمدا من ذلك ، فان كان مع ذلك يستسقط وينحدر عن سريره نحو قدميه فذلك أردأ ، فان وجد مع ذلك وقدماه مكشوفتان وليس هما بالسخينتين جدا وقد رمى بيديه وبرجليه وبعنقه بحال اختلاف واضطراب فذلك رديء من قبل أنه يدل على كرب • ومن دلائل الموت آن ينام المريض دائما وفمه مفتوح وان تكون رجلاه وهو مستلق على قفاه منثنيتين انثناء شديدا متشبكتين ، فأما نوم المريض على بطنه من غير أن يكون قد كانت عادته في صحته جرت بأن ينام على بطنه فذلك رديء وذلك أنه يدل على اختلاط العقل أو على ألم في نواحي البطن • وثوب المريض للجلوس في وقت منتهى مرضه رديء في جميع الامراض الحادة وأردأ ما يكون في أصحاب ذات الرئة •

وأما تصرير (١) الاسنان في الحمى فيمن لم تكن تلك عادته منذ صباه فذلك يدل على الجنون وعلى الموت وقد ينبغي أن تتقدم فتنذر بما يخاف على المريض من الأمرين جميعا فان كان يفعل ما

---

(١) تصرير الاسنان وتصريفها هو حك بعضها على بعض الى ان يسمع من ذلك صوت .

يفعله من ذلك وقد اختلط عقله فذلك يدل ان هلاكه قد قرب ٠ ومتى كان في بدن المريض قرحة اما متقدمة قبل مرضه واما حادثة في وقت مرضه فينبغي أن يتفقدها وذلك أنه ان كان المريض يؤول أمره الى الهلاك فان قرحته تلك تصير قبل موته يابسة أما مع صفرة أو مع كمودة الى الخضرة ٠ وأما حركة اليدين فهذا ما ينبغي ان تعلم من أمرهما انهما في الحميات الحادة وفي ذات الرئة وفي السرسام وفي الصداع اذا كانتا متحركتين نحو الوجه كأنه يصيد بهما شيئا أو يلتقط بهما عيدانا أو ينتف بهما زبيرا من الثياب أو ينزع بهما تبنا من الحيطان فكل ذلك رديء قتال ٠ وأما التنفس فانه اذا كان متواترا دل على ورم أو التهاب في المواضع التي من فوق الحجاب ٠ واذا كان عظيما ثم كان فيما بين مدد طويلة دل على اختلاط في العقل ، فاذا كان يخرج من المنخرين والفم وهو بارد فانه يكون قتالا جدا ٠

واما جودة التنفس فينبغي أن يعلم من أمره ان معه قوة عظيمة في الدلالة على السلامة في جميع الأمراض الحادة التي يكون معها حمى ويأتي البحران فيها أربعين يوما ٠ وأما العرق فأجود ما

يكون منه في جميع الامراض الحادة ما يكون في يوم من أيام البحران وينجو به صاحبه من حماه نجاة تامة وقد يحمد منه ايضا ما كـان في البدن كله فصار المريض به الى أن يكون لمرضه أسهل احتمالا، واما ما لم يفعل من العرق شيئا من ذلك فليس ينتفع به ، وأردأ ما يكون من العرق ما كان باردا ثم كان في الرأس والرقبة فقط ، فان هذا العرق اذا كان مع حمى حادة دل على الموت واذا كان في حمى هي الين وأسكن انذر بطول من المرض •

واما ما دون الشراسيف فأجود حالاته أن يكون سليما من الألم لينا مستويا مـن الجانب الأيمـن والأيسر • فأما متى كان ملتهبا أو كان مؤلما أو متمددا أو كان الايمن مخالفا لجانبه الايسر فجميع ذلك ينبغي أن يحذر ، وان كان في نفس ذلك العضو أيضا الذي هو دون الشراسيف ضربان دل علـى اضطراب أو على اختلاط عقل لكنه ينبغـي أن تتفقد العينين من أصحاب هـذه الحال فان رأيت العينين تتحركان حركة متواترة فتوقع لصاحبهـا الجنون •

وأما الورم الحادث فيما دون الشراسف اذا كان

حاسيا مؤلما فارداً ما يكون منه ما اشتمل على ذلك الموضع كله فان كان في أحد الجانبين فالأسلم منه ما كان في الجانب الايسر ، وهذه الأورام تدل في أول أمرها على خطر من الموت وحياً ، فان جاوزت عشرين يوما والحمى باقية ولم تسكن آل أمرها الى التقيح ، وقد يحدث لأصحاب هذه الحال في الدور الاول انبعاث دم من المنخرين فينتفعون به جدا لكنه قد ينبغي أن تسألهم هل يجدون صداعا أو غشاوة فان كان لهم شيء من ذلك فالى هنالك الميل ، وأحرى أن تتوقع انبعاث الدم لمن كان سنه دون الخمسة والثلاثين سنة • واما ما كان من الأورام لينا لا وجع معه اذا غمزت عليه الاصابع فبحرانه يكون أبطأ وهو أقل عادية من تلك الأورام الاول فان جاوزت ستين يوما والحمى باقية والورم لم يسكن دل ذلك على أنه يتقيح ، وما كان من الأورام أيضا في سائر نواحي البطن فمجراه هذا المجرى •

فأما ما كان من الأورام مؤلما صلبا عظيما فانه يدل على الخطر وعلى الموت الوحي ، وما كان منها لينا غير مؤلم لم يتحرك تحت الاصابع فهي أبطأ من تلك • والأورام التي في البطن أقل جمعا من الأورام التي تكون فيما دون الشراسيف ، وأقل

تقيحا ما كان منها أسفل السرة • وانما ينبغي أن تتوقع فيها انبماث الدم وخاصة في المواضع التي هي أعلى منها • وجميع الأورام اذا طالت مدتها وأزمنت في هذه المواضع فينبغي أن تتوقع لها التقيح وينبغي أن تجعل نظرك في أمر الأورام التي تتقيح في تلك النواحي على هذا المثال ، أقول ان أحمد ما يكون ما يميل منها الى خارج ، ما كان منها صغيرا وكان على غاية الميل الى خارج ، وكان مرؤوسا محدد الرأس وأردأها ما كان عظيما عريضا وليس له كثير رأس محدد وأحمد ما كان انفجاره منها الى داخل ما لم يكن بوجه من الوجوه مشاركا للموضع الخارج منقبضة لاطية لا وجع معها ويرى الموضع الخارج منها كله متشابه اللون •

وأما المدة فأحمد ما يكون منها ما كان أبيض مستويا أملس وليس له رائحة منكرة ، واما ما كان حاله على غاية المضادة لتلك الحال فهو في غاية الرداءة •

المقالة الثانية :

في العلامات المأخوذة من البراز والبول والبصاق وقيح الصدر والجراحات الحادثة في البدن •

قال أبقراط :

فأما الاستسقاء الذي يكون من الامراض الحادة فكله رديء وذلك أن صاحبه لا يتخلص من الحمى الشديدة ، ويؤلم ألما شديدا ويقتل . وأكثر ما يبتدىء من الخاصرتين والقطن (١) ومنه ما يبتدىء من الكبد فمن ابتدأ به الاستسقاء من الخاصرتين والقطن فان قدميه ترمان ويعرض له ذرب (٢) فيدوم به مدة طويلة ، ولا تنحل به الأوجاع التي يجدها في خاصرته وفي قطنه ولا يفرغ بطنه .

وأما الاستسقاء الذي يكون من الكبد فيعرض لصاحبه أن يدعوه الى أن يسعل من غير أن ينفث شيئا يعتد به وترم قدماه ولا ينطلق بطنه ولا ينحدر منه الا شيء يابس صلب باستكراه وتحدث في بطنه أورام بعضها من الجانب الأيمن وبعضها في الجانب الأيسر ، يظهر أحيانا ثم لا يلبث أن يسكن . واذا كان الرأس والقدمان والكفان باردة والبطن والجنبان حارة فذلك رديء ومن أفضل الأمور أن يكون البدن كله حارا لينا على استواء ،

---

(١) القطن محركة ما بين الوركين .
(٢) بالكسر شيء يكون في عنق الانسان او الدابة مثل الحصاة كالذربة أو داء يكون في الكبد .

وينبغي أن يكون تقلب المريض تقلبا سهلا واذا استقل بدنه خفيفا ومتى كان البدن ثقيــلا أو الرجلان أو اليدان فالخطر أزيد وان كان مع الثقل كمودة تضرب الى الخضرة في الاظفار والاصابــع فالموت حال عن قريب ٠

وتسود الأصابــع أصلا والقدمان فيكون ذلك أقل في الدلالة على الهلاك منها اذا كانت قد مالت الى الخضرة ، لكنه ينبغي لك عند ذلك أن تتفقد سائر الدلائل وتدبر أمرها فانك اذا رأيت المريض محتملا لما حل به من الآفة احتمالا سهلا وكان مع ذلك دليل آخر من الدلائل التي تدل على السلامة ، دل ذلك على ان المرض يندفع بخروج خراج ، حتى يسلم المريض ، وتسقط المواضع التي اسودت من البدن ٠

وأما الانثيان والقضيب اذا تقلصت فانها تدل على ألم أو على موت ٠ وأما النوم فينبغي أن يكون على ما جرت به العادة مثل مجرى الطبع حتى يكون المريض بالنهار متنبها وبالليل نايما ٠ فان تغير ذلك كانت الحال أردأ وأقل ما يكون الأذى والمكروه من النوم اذا نام المريض في أول النهار الى أن يمضي

منه نحو من الثلث ، وأما النوم الذي يكون بعد هذا الوقت فهو رديء • ومن أردأ الحالات أن لا ينام المريض لا بالليل ولا بالنهار ، وذلك انه انما يسهر اما من وجع وألم واما يصيبه اختلاط في عقله من قبل هذا الدليل ، وأما البراز فأحمده ما كان لينا مجتمعا وكان خروجه في وقت خروجه كما كان في حال الصحة ، وكان مقداره بقياس ما يرد البدن وذلك لأن البراز اذا كان بهذه الحال كانت الناحية السفلي من البطن صحيحة •

فان كان البراز رقيقا فيحمد منه أن لا يكون معه صوت وأن لا يكون خروجه متواترا قليلا قليلا وذلك أنه اذا كان كذلك حتى يحدث للمريض اعياء من كثرة القيام وتتابعه عرض له من ذلك سهر ، فان خرج شيء كثير مرارا كثيرة لم يؤمـــن على المريض الغشي ، ولكنه ينبغي أن يكون البراز بحسب ما يرد على البدن مرتين أو ثلاث مرات بالنهار ومرة بالليل ويكون كثيره نحو السحر أو كما من عادة ذلك الانسان أن يقوم • وينبغي أن يثخـن البراز اذا أمن المريض نحو البحران ، وينبغي أن يكون البراز مائلا الى الصفرة ما هو ، ولا يكون شديد النتن •

ومما يحمد أيضا أن يخرج من البراز حيات اذا أمعن المريض نحو البحران • وينبغي أن يكون البطن في كل مرض خاليا سمينا • وأما البراز المائي الرقيق جدا والابيض والاصفر الشديد الصفرة فكل ذلك رديء جدا • ومن البراز الرديء البراز اليسير اللزج الأملس الابيض منه والاسود ، وأدل من هذا على الموت البراز الاسود الدسم والاخضر المنتن •

وأما البراز المختلف الألوان فينذر من طول المرض بأكثر مما تنذر به تلك الاصناف الأخرى ، وليس ما يدل عليه من الهلاك بدون ما تدل عليه تلك ، وأعني بذلك ما كان من البراز فيه خراطة وما يضرب لونه الى لون الكرات وما كان أسود وربما خرجت هذه الألوان كلها معا ، وربما خرج كل واحد منها على حدته •

قال أبقراط :

أما الريح فأحمد خروجها ما لم يكن معها صوت وخروجها على حال مع صوت خير من اختفائها حيث هي ، واذا خرجت بصوت فانها تدل على أن بصاحبها ألما واختلاطا ، واختلاط عقل الا أن يكون الريح

منه بارادة · وأما الآلام التي تكون فيمـا دون الشراسيف وما يحفو منها اذا كان قريب العهد ولم يكن معه التهاب فان القرقرة الحادثة في تلك المواضع تحلها ، وخاصة ان خرجت مع البراز والبول ، فان لم تخرج فبانتقالها ، وقد ينتفع أيضا بانحدارها الى أسفل ·

ذكر أنواع البول :

وأحمد البول ما كان فيـه تفل راسب أبيض أملس مستوف مدة المرض الى أن يأتي غاية البحران فان ذلك يدل على الثقة وعلى القصر من المرض ، فان أخل حتى تبول بولا صافيا ومرة يرسب فيه ثقل أبيض أملس كان المرض أطول فكان الأمن فيه أقل ، فان كان البول يضرب الى الحمرة المشبعة والتفل الراسب فيه بذلك اللون أملس فان المرض أطول مدة من الاول لكنه يكون سليما · وأما متى كان التفل الراسب في البول شبيها بخلال السويق فهو رديء وأردأ منه ما كان شبيها بالصفايح ، وما كان منه رقيقا أبيض فهو رديء جدا · وأردأ منه ما كان شبيها بالنخالة ·

وأما الغمامة المتعلقة في البول فانه متى كانت

بيضاء فهي محمودة ومتى كانت سوداء فهي مذمومة .
وما دام البول أصفر رقيق القوام فانه يدل على أن المرض لم ينضج بعد ، فان كان مع ذلك في المدة طول فليس يؤمن المريض الى أن ينضج مرضه ، ومن أدل الأبوال على الموت ما كان منها مائيا ، وما كان منتنا ، وما كان أسود ، وما كان غليظا ، وأردأ الأبوال للرجال والنساء الاسود ، وللصبيان المائي .

ومن يبول بولا رقيقا مدة طويلة ان كانت سائر الدلائل تنذر بأنه يسلم فانه ينبغي أن تتوقع له خراج يخرج به في المواضع التي في أسفل الحجاب . وقد ينبغي أن تذم الدسومة التي فوق البول بمنزلة نسج العنكبوت لأن هذا الدليل يدل على الذوبان .

وقد ينبغي أن تتفقد من الأبوال ما فيه غمامة هل تلك الغمامة منه في أسفله أو هي في أعلاه ، وبأي الألوان هي ، فما كان منها يهوي الى أسفل مع الألوان التي ذكرت ظننت به أنها جيدة وحمدتها ، وما كان منها يسمو الى فوق مع الألوان التي ذكرت ظننت انها ردية وذممتها . واحذر ان لا تغلطنك المثانة بأن يكون فيها علة فترى في البول شيئا من ذلك ، فان ذلك الدليل ليس يكون حينئذ على البدن كله لكنه يكون على المثانة على حدتها .

في القيء :

وأنفع القيء ما كان فيه البلغم مخالطا للمرار جدا ، ولا يكون ما يتقيأ منه غليظا جدا لأن القيء كلما كان أقرب الى أن يكون صرفا كان أردأ . فان كان ما يتقيأ في لون الكرات ، أو كمدا ، أو أسود ، فكل ما كان من هذه الألوان فينبغي أن تظن أنه رديء . فان تقيأ الانسان الواحد جميع هذه الألوان فانه قتّال جدا . واذا كان ما يتقيأ أخضر وكان منتنا فانه يدل على أن الموت وحي جدا وجميع الروائح المنتنة ردية في جميع ما يتقيأ .

وأما البصاق فينبغي في جميع العلل النازلة بالرئة والأضلاع ان يكون نفثه سريعا سهلا وترى فيه الحمرة جدا مخالطة للريق فانه ان تأخر عن أول الوجع تأخر كثيرا ثم كان نفثه له وهو أحمر أو أصفر ومع سعال كثير وليس بالمخالط للريق جدا كان ذلك رديا جدا من قبل ان الاحمر اذا كان صرفا دل على خطر والابيض اللزج المستدير مما لا ينتفع به . وما كان أخضر أو زبديا فهو رديء . فان كان قد بلغ من صرافته أن تراه أسود فهذا أردأ من تلك .

ومتى لم يرتفع من الرئة شيء حتى يخرج لكنها تبقى ممتلئة حتى يحدث سمعه بالغليان في الحلق فذلك أيضا رديء • وأما الزكام والعطاس في جميع العلل التي تكون في الرئة والاضلاع فرديء كان حدوث ذلك قبل العلة أو بعد حدوثها وأمـــا في سائر الامراض القاتلة فالعطاس فيها مما ينتفع به •

وأما البصاق الذي يخالطه شيء من الدم ليس بالكثير وهو أحمر ناصع في ورم الرئة فهو في أول العلة يدل على السلامة جدا فان أتى على العلة سبعة أيام أو أكثر من ذلك والبصاق بتلك الحال فلتكن ثقتك به أقل • وكل بصاق لا يكون به سكون الوجع فهو رديء وأردأ منه الاسود كما وصفت وكلما كان به سكون الوجع فهو أحمد ، وما كان من الأوجاع في هذه المواضع لا يسكن عند نفث البصاق ولا عند استفراغ البطن من البراز ولا عند الفصد والتدبير والعلاج بالأدوية فينبغي أن تعلم أن أمره يؤول الى التقيح •

وما كان من التقيح يحدث والبصاق بعد يغلب عليه المرار فهو رديء جدا سواء كان خروج مـــا يخرج منه مرة البصاق الذي يغلب عليـــه المرار

ومرة المدة ، أو كان خروجهما معا ولا سيما متى بدت المدة وقد أتى على المريض سبعة أيام وتوقع لمن ينفث هذا النفث ان يموت في اليوم الرابع عشر • اللهم الا أن يحدث له حدث محمود وهذه هي الامارات المحمودة أن يكون المريض حسن الاحتمال لمرضه بسهولة ، وأن يكون نفسه حسنا ، وأن يكون سليما من الآلام وأن يقذف ما يقذفه مع السعال من البصاق بسهولة وان يوجد بدنه كله مستويا في الحرارة واللين ، وأن لا يكون به عطش وأن يكون بوله و برازه و عرقه و نومه كل واحد منها على ما وصفت فيما تقدم من الامارات المحمودة ، فان هذه الدلائل كلها اذا كانت بهذه الحال لم يمت المريض ، وان كان بعضها موجودا و بعضها مفقودا، بقي المريض حتى تجاوز أربعة عشر يوما ثم مات بعد ذلك ، وأما الرديئة فهي أضداد تلك وهي هذه : أن يعسر على المريض احتمال مرضه وأن يكون نفسه متواترا عظيما ، وأن لا يسكن ألمه ، وان يكون نفثه لما ينفثه من البصاق مع السعال بكد ، ويعطش عطشا شديدا وان تكون حرارة الحمى في البدن مختلفة حتى يكون البطن والجنبان شديدة الحرارة وتكون الجبهة والقدمان والكفان

باردة ، وأن يكون البول والبراز والبصاق والنوم والعرق على ما وصفنا حتى يكون كل واحد منها رديئا ، فان حدث للمريض بعد ذلك النفث شيء من هذه الدلائل فانه يعطب قبل أن يبلغ اربعة عشر يوما ، أما في اليوم التاسع واما الحادي عشر ، فعلى هذا ينبغي أن يترك الامر متى كان البصاق يدل على الموت جدا ، ويتأخر الى أربعة عشر يوما ، واذا أنت تفكرت مع ذلك فيما حدث من الدلائل المحمودة والدلائل الرديئة ، قدرت أن تصل بعد ذلك الى تقدمة المعرفة بما سيكون • ومن سلك هذا الطريق كان في أكثر الأمر مصيبا •

وأما سائر التقيح فاكثره ينفجر بعضه في العشرين وبعضه في الاربعين وبعضه ينتهي نحو الستين • وقد ينبغي أن تنظر حتى كان ابتداء التقيح وتحسب ذلك منذ أول يوم حم فيه المريض ان كان أصابه نافض فان زعم أنه كان يجد ألما فصار مكانه ثقل في الموضع الذي يجد فيه الألم فان هذه الاشياء مما يكون في ابتداء التقيح ، فمذ هذا الوقت ينبغي أن تحسب وتتوقع الانفجار في الأوقات التي تقدم ذكرها •

فان كان التقيح في جانب واحد فقد ينبغي أن تتفقد من أمر هؤلاء هل يجدون وجعا في الجنب ، وهل أحد الجنبين أسخن من الآخر ، وتأمر المريض أن يضطجع على جانبه الصحيح ، ثم تأمره هل يجد كأن ثقلا معلقا في جانبه الأعلى ، فان كان الامر كذلك فان التقيح من جانب واحد ٠

وقد ينبغي أن تعرف جميع أصحاب التقيح بهذه الدلائل ، أما أول الامر فان الحمى لا تفارقهم لكنها تكون بالنهار رقيقة ، فاذا كان الليل تكون أزيد ويعرقون عرقا شديدا ويستريحون الى السعال ، ولا ينفثون شيئا يعتد به وتغور أعينهم وتحمر وجناتهم وتتعقف أظافيرهم ، وتسخن الأصابع وخاصة أطرافها ، وتحدث لهم في القدمين أورام وبثور ثم تسكن ولا يشتهون الطعام وتحدث في أبدانهم نفاخات ٠

وما يطول مدته من التقيح فانه تظهر فيه هذه العلامات ، وينبغي أن تثق بها غاية الثقة ، فأما ما كان منها قصير المدة ، فينبغي أن تنظر هل يظهر فيها شيء من تلك الدلائل التي تكون في الابتداء وتنظر أيضا ان كان نفس ذلك المريض بحال هي

أرداً . وأما ما ينفجر من ذلك هل يكون انفجاره أسرع أو أبطأ ، فبهذه الدلائل ينبغي أن تتفقد ، وذلك ان كان الألم يحدث منذ أول الأمـــر وسوء التنفس والسعال ، ونفث البصاق لا يزال باقيا ، فينبغي أن تتوقع الانفجار نحو العشرين يوما ، أو قبل ذلك ، فان كان الألم أهدأ وجميع تلك الاشياء على قياس هذا فينبغي أن تتوقع القيح بعد تلك المدة ، ولا بد قبل نفث المدة أن يزيد الألم وسوء التنفس ، ونفث البصاق ، وأكثر من يسلم مـــن هؤلاء من فارقته الحمى من يومه بعد الانفجار ، واشتهى الطعام بسرعة ، ولم يكن به عطش وكان ما يخرج من بطنه يسيرا مجتمعا ، وكانت المادة التي ينفثها بيضاء ملساء كلها بلون واحد وليس يخالطها من البلغم شيء وينقى بلا كد ولا سعال شديد فمن كانت هذه حاله فانه يتخلص من هـــذه العلة على أفضل الوجوه في أسرع الأوقات ، وبعد هذا من كان أقربهم منه حالا والذي يعطب مـــن هؤلاء من لم تفارقه الحمى من يومـــه أو أوهمت أنها فارقته ثم كرت عليه ، ويكون به عطش ، ولا يشتهي الطعام ، ويكون بطنه لينا ، ويكون مـــا يخرج من المادة أخضر كمدا ، ويكون نفثه بلغميا

زبديا ، فمتى حدثت هذه الأمور كلها فان صاحبها يعطب ، فأما ان حدث به بعضها ولم يحدث بـه البعض فبعضهم يسلم وبعضهم يعطب على طـول المدة ، فينبغي أن تستدل من جميع الدلائل التي توجد في هؤلاء ومن سائر الدلائل كلها ٠

وأما من حدثت به الخراجات من علة ذات الرئة عند الأذنين في المواضـع السفلية فان تلك الخراجات تتقيح وتنفجر وتصير نواصير وأصحاب هذه العلة يتخلصون ٠ وينبغي أن ننظر في هذه الوجوه على هذا المثال ، فمتى كانت الحرارة لازمة ، وكان الألم لم يسكن ونفث البصاق لم ينبعث على ما ينبغي ، ولا حدوث الخراج ، ولا كان الغالب على ما ينحدر من البطن المرار ، ولا كان منطلقا صرفا ، ولا كان البول كثيرا جدا فيه ثفل راسب كثير ، وكانـت سائر الدلائل كلها تدل على السلامة ، فينبغي أن تتوقع لأصحاب هذه الحال خروج هذه الخراجات ٠

وما يحدث مـن هذه الخراجـات في المواضـع السفلية انما يحدث بمن كان به فيما دون الشراسيف شيء من الالتهاب وما يحدث منها فوق انما يحدث بمن كان ما دون الشراسيف منه خاليا من الغلظ

والألم ، ثم يعرض له سوء تنفس فلبث مدة ما ثم يسكن من غير سبب ظاهر ·

وأما الخراجات التي تحدث في الرجلين في علل الرئة القوية العظيمة الخطر فكلها نافعة وأفضلها ما كان حدوثه وما ينفث بالبصاق قد بان فيه التغير وذلك أنه متى كان حدوث الورم والألم بعد أن يكون ما ينفث بالبصاق قد تغير عن الحمرة الى حالة التقيح وانبعث الى خارج، كانت سلامة ذلك الانسان على غاية الثقة ، وكان الخراج يسكن حتى يذهب الله في أسرع الأوقات ، فان كان ما ينفث بالبصاق ليس يخرج على ما ينبغي ولم يظهر في البول ثفل راسب محمود فليس يؤمن أن يزمن المفصل الذي خرج منه الخراج أو يلقى منه صاحبه شدة شديدة·

فان غابت الخراجات وما ينفث بالبصاق لم ينبعث والحمى ملازمة فلذلك رديء لأنه لا يؤمن على المريض أن يختلط عقله ويموت ، ومن يموت من أصحاب التقيح الحادث عن ذات الرئة فمن قد طعن في السن أكثر ، وأما سائر أصحاب التقيح فالذين هم أحدث سنا يموتون منه أكثر ، وأما المشائخ فأبطأ من ذلك كثيرا ·

ذكر انواع الأوجاع :

وأما الأوجاع التي تكون مع الحمى في القطن وفي المواضع السفلية فانها ان لابست الحجاب بعد أن تفارق المواضع السفلية كان ذلك قتالا جدا ، فقد ينبغي أن تتدبر بعقلك سائر الدلائل ، فانك ان رأيت مع ذلك دليلا رديئا من سائر الدلائل فليس يرجى ذلك للمريض ، فان كان المرض قد تراقي الى الحجاب وسائر الدلائل ليست بالرديئة فليقو رجاءك بأن ذلك المريض يؤول أمره الى التقيح ٠

ومتى كانت المثانة صلبة مؤلمة فانها رديئة في جميع الاحوال قتالة وأقتل ما يكون اذا كان معها حمى دائمة ، وذلك أن ألم المثانة قد يقوى على أن يقتل ، والبطن لا ينبعث في ذلك الوقت ، وقد يحل ذلك البول اذا بيل بمنزلة القيح وفيه تفل راسب أبيض أملس ، وان لم ينبعث البول أصلا ولم تلن المثانة وكانت الحمى دائمة فتوقع لصاحب ذلك الألم الهلاك في الادوار الأولى من مرضه ، وهذا النوع يصيب خاصة الصبيان منذ يكونون أبناء سبع سنين الى أن يبلغوا خمس عشرة سنة ٠

المقالة الثالثة :

في العلامات المأخوذة من البحارين ، واستدراك ما فات من الاشياء وغيرها من الامراض .

قال أبقراط :

وأما الحميات فيأتي فيها البحران في تلك الأعداد من الايام بأعيانها التي يسلم فيها من يسلم من الناس ويعطب من يعطب ، وذلك أن أسلم الحميات التي يعتمد فيها على أوثق الدلائل فانها تنقضي في اليوم الرابع أو قبله ، وأخبث الحميات والتي تظهر فيها أردأ الدلائل فانها تقتل في اليوم الرابع أو قبله .

والدور الاول من أدوارها عند هذا ينتهي ، وأما الدور الثاني فينتهي في اليوم السابع ، وأما الدور الثالث فينتهي في اليوم الحادي عشر ، وأما الدور الرابع فينتهي في اليوم الرابع عشر ، وأما الدور الخامس فينتهي في اليوم السابع عشر ، وأما الدور السادس فينتهي في اليوم المشرين ، وهذه الأدوار في الحمى تجري على أربعة أربعة في الأمراض الحادة الى المشرين على التزايد والترتيب .

وليس ينبغي أن تحسب شيئا من هذه الأدوار على حساب أيام تامة اذ ليس يمكن أن تحسب السنة وأشهرها على حساب أيام تامة ، ثم من بعد هذه الأدوار على ذلك الطريق ، وعلى ذلك الوجه من التزايد يكون الدور الاول في أربعة وثلاثين يوما والثاني في أربعين يوما والثالث في ستين يوما .

وما كان من هذه يأتي فيه البحران في مدة أطول فتقدمة المعرفة في أوله عسر وذلك لأن أوائلها تكون مشتبهة جدا لكنه قد ينبغي منذ أول الامر أن تتفكر وكلما جاوز أربعة أيام تفقدته فانه لن يخفى عليك الى أن يميل ، وسكون الرابع أيضا يكون على هذا النظام ، والامراض التي من شأنها أن تنقضي في أقل المدد فهي أسهل تعرفا وذلك ان الاشياء التي تفارق بها غيرها على أعظم ما يكون ، وذلك ان الذين هم على سبيل السلامة يكون نفسهم نفسا حسنا ويكونون سليمين من الآلام وينامون الليل كله وتكون سائر الدلائل فيهم على غاية الثقة ، وأما الذين يعطبون فان نفسهم يكون رديئا ويشوبهم اختلاط ويعتريهم أرق وتكون سائر الدلائل فيهم على غاية الرداءة .

وقد ينبغي أن تدبر أمر الوقت وأمر كل واحد من مقادير التزايد الى أن تبلغ الامراض وقت انقضائها على أن هذه الأمور جارية على ما وصفناه وعلى هذا الطريق تحدث البحرانات للنساء أيضا بعد ولادتهن ٠

ذكر أوجاع الراس والفم والحنجرة :

واذا كان في الرأس آلام شديدة دائمة مع حمى وكان مع ذلك شيء من امارات الموت فان ذلك قتّال جدا ، فان كانت الأوجاع من غير تلك الامارات وجاوز الوجع عشرين يوما والحمى لازمة ، فينبغي أن تتوقع انبعاث الدم من المنخرين أو غير ذلك من الخارج في النواحي السفلية من البدن وما دام الوجع طريا فينبغي أن تتوقع انفجار الدم من المنخرين أو التقيح وخاصة متى كان الألم انما هو نحو الصدغين والجبهة ، والأولى أن تتوقع انفجار الدم لمن كان سنه دون الخمس والثلاثين سنة ، وأما من كان أسن من هؤلاء فتوقع له التقيح ٠

ألم الأذن الحاد :

وأما آلام الأذن الحادثة مع الحمى الدائمة فدليل

رديء وذلك أنه لا يؤمن على صاحبه أن يختلط عقله ويعطب ، فاذا كان هذا هكذا فالخطر أشد فقد ينبغي أن تتدبر بعقلك سائر العلامات منذ أول يوم • وقد يعطب من كان من الناس شابا في اليوم السابع من هذه العلة وأوحى من ذلك ،وأما المشايخ فأبطأ من ذلك كثيرا ، وذلك لقلة أصحاب الحمى والاختلاط اياهم اذا لم يسبق فتتقيح بهذا السبب ، لكن في هذه الأسنان عودات المرض اذا كثرت تقتل أكثر أصحابها ، وأما الشبان فقبل أن تتقيح آذانهم يهلكون وذلك أنه ان سالت المادة من آذانهم فقد يرجى للشبان السلامة ان ظهرت فيهم امارات أخرى محمودة •

وأما الذبحة فاردأها وأقتلها بسرعة ما كان منها لا يظهر في الحلق والرقبة شيء بيّن ، وكان فيه أشد الوجع وانتصاب النفس ، فان ما كانت هذه حاله من الذبحة فقد يختلف فيه صاحبه في اليوم الأول أو في الثاني أو في الرابع • وأما الذبحة التي فيها الألم على ذلك المثال لكن يحدث معها ورم وحمرة في الحلق فانها قتالة جدا الا أنها أبطأ من التي ذكرت قبلها •

وأما الذبحة التي يحمر معها الحلق والرقبة

فانها أبطأ مدة وأحرى أن يسلم صاحبها ان كان في الصدر والرقبة حمرة ولم تغب الحمرة الى داخل ·

فان كانت غيبة الحمرة لا في يوم من أيام البحران ولا عند خراج ينعقد في ظاهر البدن ولا عندما يقذف العليل بالسعال المادة بسهولة ورأيت المريض كأنه قد هدأ أمه دل ذلك على الموت أو على عودة من المرض · والأجود أن تكون الحمرة مائلة الى خارج وأن تكون سائر الخراجات أميل الى خارج ، فان مالت الى الرئة أحدثت اختلاط عقل وحدث عن ذلك في أكثر الامر التقيح ·

وأما اللهاة فالأمر في قطعها وفي بطها خطر ما دامت حمراء عظيمة وذلك أنه قد يتبع ذلك أورام وانبعاث دم لكن ينبغي في ذلك الوقت أن تضمن بسائر الحيل ، فاذا تفرغ جميع ذلك الذي يقال في الغيبة وصار طرف اللهاة أعظم وأغلظ وأميل الى الكمودة ، وصار ما هو أعلى منه أدق ففي ذلك الوقت تثق بعلاج اللهاة ، والأجود أن تروم علاجها بعد أن تستفرغ البطن اذا كانت مدة الزمان مؤاتية ولم تخف على المريض أن يختنق ·

وأما ان سكنت عنه الحمى من غير أن يكون

ظهرت فيه علامات تدل على انقضاء المرض ، ولا كان سكون حماه في يوم من أيام البحران فانه ينبغي أن تتوقع له عودة من مرضه عليه . ومن طالت به الحمى وكان بحال سلامته وليس به ألم من التهاب أصلا ولا من سبب آخر فينبغي أن تتوقع له خراجا مع ورم وألم في مفاصله وخاصة السفلية . وأحرى أن يكون هذا الخراج مع ألم سائر الخراجات في مدة من الزمان أقل لمن كان سنه دون الخمس والثلاثين سنــة .

وينبغي أن تتوقع الخراج منذ تجاوز المرض عشرين يوما . وأما من كان أسن من هؤلاء الا أنه لم يبلغ بعد الى الشيخوخة ، فحدوث الخراجات اذا طالت حماه أقل . وينبغي أن تتوقع الخراج متى كانت الحمى دائمة وتتوقع انتقال الحمى الى الربع ان كانت تغب وتعاود على غير نظام ويكون ذلك وقد قرب الخريف .

وكما تحدث الخراجات لمن كانت سنه من الشبان دون الخمس والثلاثين سنة ، كذلك أيضا يحدث الربع لمن قد أتت عليه أربعون سنة أو كان أسن منه . وأما الخراجات فينبغي أن تعلم من أمرها

أنها تكون في الشتاء أكثر ويكـون سكونها أبطأ وتكون معاودتها أقل ٠

وأما من شكا في حمى ليست بالقتّالة صداعا ورأى أمام عينيه شيئا أسود فانه ان أصابه مع ذلك وجع في فؤاده فيحدث له قيء مرارا فان أصابه مع ذلك نافض وكانت النواحي السفلية فيمـا دون الشراسيف منه باردة كان القيء أسرع اليه ، فان تناول شيئا في ذلك الوقت من طعام أو شراب أسرع اليه القيء جدا ٠ وأما من بدأ به الوجع من هؤلاء من أول يومه فانه أحرى أن يشتد به في اليوم الرابع أو الخامس ، فاذا كان السابع ذهب عنهم ، وأما أكثرهم فيبتديء به الوجع في اليوم الثالث ويشتد بهم خاصة في اليوم الخامس ، ثم يذهب عنهم في اليوم التاسع ، أو في الحادي عشر ، ومنهـم من يبتديء به الوجع في اليوم الخامس ثم تكون سائر أحوالهم على قياس أحوال الذين تقدموهم وينقضي مرضهم في اليوم الرابع عشر ٠ وهذه الاشياء تكون في الرجال والنساء في حميات الغب خاصة ، وأما في من هو أحدث سنا من أولئك فقد تحدث فيهم تلك الاشياء في تلك الحميات الا أن حدوثها في الحميات

التي هي أدوم أكثر ، وفي حميات الغب الخالصة أقل ٠

وأما من أصابه في تلك الحميات صداع وأصابه في عينيه مكان السواد الذي يراه أمامها غشاوة أو رأى أمام عينيه شبيها باللمع ، وأصابه مكان وجع الفؤاد تمدد فيما دون الشراسيف من الجانب الأيمن أو الايسر من غير وجع ولا تلهب فتوقع لهذا انبعاث دم من منخريه مكان القيء ، وتوقع خاصة في هذا الموضع لمن كان أحدث سنا انفجار الدم ، وأما من كان قد ناطح الثلاثين سنة ومن كان أسن منه فيكون توقعك له انفجار الدم أقل لكنه ينبغي لك أن تتوقع له القيء ٠ وأما الصبيان فيعرض لهم التشنج متى كانت حماهم حادة وكانت بطونهم معتقلة وكانوا يسهرون ويتفزعون ويبكون وتحول ألوانهم فيصير الى الخضرة أو الى الحمرة أو الى الكمودة ، وأسهل ما تكون هذه الاشياء للصبيان الذين هم في غاية الصغر الى أن ينتهوا الى سبع سنين ، وأما الصبيان الذين هم أكبر من هؤلاء والرجال فانه لا يعرض لهم في حمياتهم التشنج متى لم يحدث عليهم من الدلائل شيء مما هو في غاية القوة وفي غاية الرداءة مثل الدلائل التي تحدث في السرسام وقد ينبغي أن

تستدل على من يسلم وعلى من يعطب من الصبيان وغيرهم من جميع الأعلام كما تبين من أمر كل منها في كل واحد من الامراض وقولي هذا انما هو في الأمراض الحادة وما يتولد منها ·

وقد ينبغي لمن يريد أن يتقدم فيخبر بسلامة من يسلم وبموت من يموت وينذر بطول مرض مـن يدوم مرضه به أياما أكثر وبقصر مرض من يلبث مرضه أياما أقل ان يتعرف جميع الدلائل ويميزها بعد أن يقيس قواها بعضها ببعض كما وصفنا في جميع الدلائل وخاصة في البول والبصاق اذا نفث المريض مدة مع بصاق ·

وقد ينبغي أن تتفطن بسرعة دائما لحـدوث الامراض الوافدة ولا يفوتك حال الوقت الحاضر · وقد ينبغي أن تعلم علما حسيا مـن أمر الدلائل وسائر الأعلام أنها في كل سنة وفي كل وقت مـن أوقات السنة ، ما كان منها رديئا فهو يدل على شر وما كان منها محمودا فهو يدل على خير ، وذلك أنك تجد هذه الدلائل التي تقدم ذكرها تصح في بلاد النوبة وفي بلاد أيلوس وفي بلاد الصقالبة ·

وينبغي أن تعلم علما يقينا أنه ليس بمنكر في

مواضع بأعيانها أن يكون صوابك أضعافا مضاعفة اذا أنت تعرفت الدلائل وعلمت كيف تميزها وتدبرها بالصواب ، وليس ينبغي أن تتشوف الى اسم مرض من الامراض لم يذكر في هذا الكتاب ، وذلك ان جميع الامراض التي تنقضي في مدد من الزمان التي تقدمنا فحددناها قد تتعرفها بهذه الأعلام بأعيانها أن تدبرتها وميزتها » ٠

هذه الرسالة المختصرة في الطب عظيمة الفائدة جليلة القدر ، بحث فيها شيخ الحكماء وطبيب الأطباء أبقراط الأعراض التي ترافق وتواكب الامراض الحادة والتي يمكن بواسطتها أن يستدل الطبيب على مستقبل المريض وما يجب أن يفعل لمريضه من تدابير تكفل له الشفاء والصحة ٠ نقله الى العربية أبو زيد حنين بن اسحاق العبادي ، الذي كان فاضلا في صناعة الطب فصيحا باللغة اليونانية والسريانية والعربية ، دار البلاد في جمع الكتب القديمة ودخل بلد الروم وتوفي يوم الثلاثاء لست خلون من صفر سنة ستين ومائتين (١) ٠

ومما يروى أن حنين بن اسحاق هذا أقام مدة

(١) ابن النديم : الفهرست صفحة ٤٠٩ .

في البصرة وكان شيخه في العربية الخليل بن أحمد ، ثم بعد ذلك انتقل الى بغداد واشتغل بصناعة الطب • وقد نقل حنين كثيرا من كتب الطب والحكمة اليونانية الى اللغة العربية،ووضع عددا كبيرا أيضا، وكل ذلك مذكور في كتب التاريخ والتراجم •

ولقد لاقت هذه الرسالة الاهتمام الكبير من كافة الأطباء والحكماء في البلاد العربية ، وفي اليونان ، وفسرها جالينوس الطبيب اليوناني الكبير الذي جاء بعد وفاة أبقراط بستمائة وخمس وستين سنة • ونقل هذا التفسير الى العربية عيسى بن يحيى أحد تلاميذ حنين بن اسحاق العبادي ، ولخص حنين بن اسحاق هذا التفسير وجمله على طريق المسألة والجواب وسماه «ثمار تفسير جالينوس لكتاب تقدمة المعرفة» • واختصره كذلك هبة الله بن صاعد المعروف بابن التلميذ الطبيب البغدادي المتوفى سنة خمسمائة وستين للهجرة سماه « مختصر تفسير تقدمة المعرفة لابقراط تفسير جالينوس » (١) •

قسَم ابقراط :

عندما أسس أبقراط مدرسته الطبية شاء أن

---

(١) معجم الادباء جـ ٧ ص ٢٤٥ .

تنهج هذه المدرسة نهجا صحيحا في مجال الطب ومعالجة الانسان ، لذلك فقد وضع قسمه المشهور الذي لا يزال يستخدم في أغلب الجامعات الطبية في العالم رغم مرور قرون عديدة على وضعه ، ورغم تقدم الطب في هذا العصر المتطور ، ولكن مع بعض التطور حتى يوافق العصر ٠

يقول القسم : « أقسم بأبلو الطبيب ، وباسكلبيوس ، وبهجيائيا وباناسيا ، وبجميع الآلهة والالهات ، وأشهدها جميعا عليّ ، أن أنفذ هذا القسم وأوفي بهذا المهد بقدر ما تتسع له قدرتي وحكمتي ، وأن أضع معلمي في هذا الفن في منزلة مساوية لأبوي ، وأن أشركه في مالي الذي أعيش منه ، فاذا احتاج الى المال اقتسمت مالي معه ، وأقسم أن أعد أسرته اخوة لي ، وأن أعلمهم هذا الفن اذا رغبوا في تعلمه ، من غير أن أتقاضى منهم اجرا أو ألزمهم باتفاق،وأن ألقن الوصايا والتعاليم الشفوية وسائر التعاليم الأخرى لأبنائي ، ولابناء أستاذي ، وللتلاميذ المتعاقدين الذين أقسموا يمين الطبيب ، ولا ألقنها لأحد سواهم ٠ وسوف أستخدم العلاج لأساعد المرضى حسب مقدرتي وحكمتي ، ولكن لا أستخدمه للأذى أو لفعل الشر ٠ ولن أسقي

أحدا السم اذا طلب الي أن أفعل هذا ، أو أشير بسلوك هذه السبيل • كذلك لن أعطي امرأة صوفة لاسقاط جنينها ، ولكني سأحتفظ بحياتي وفني كليهما طاهرين مقدسين ، ولن أستعمل المبضع ولو كنت محقا في استعماله ، لمن يشكو حصاة ، بل أتخلى عن مكاني لمن يحذقون هذا الفن •واذا دخلت بيت انسان أيا كان ، فسأدخله لمساعدة المرضى ، وسأمتنع عن كل اساءة مقصودة أو أذى متعمد ، وسأمتنع بوجه خاص عن تشويه جسم أي رجل أو أية امرأة ، سواء كانا من الاحرار أو من الأرقاء • ومهما رأيت أو سمعت في أثناء قيامي بفروض مهنتي ، وفي خارج مهنتي في خلال حديثي مع الناس، اذا كان مما لا تجب اذاعته ، فلن أفشيه ، وساعد أمثال هذه الاشياء أسرارا مقدسة • فاذا ما ألزمت نفسي باطاعة هذا القسم ولم أحنث فيه ، فاني أرجو أن أشتهر مدى الدهر بين الناس جميعا بحياتي وبفني ، أما اذا نقضت العهد وحنثت بالقسم فليحل بي عكس هذا » •

ولم يكتف أبقراط بهذا القسم الطبي المهني بل أضاف اليه واجبات الطبيب التي ينبغي التقيد فيها بدقة وانتظام ، وهي أن يحتفظ دائما وأبدا بحسن

مظهره الخارجي ، وأن ينظف جسمه ويتأنق في ملبسه . كما يجب عليه أن يكون هادئا رصينا على الدوام ، وأن يكون سلوكه يبعث على الثقة والاطمئنان في نفس المريض ويجب عليه :

« أن يكون شديد العناية بمراقبة ذاته ونفسه ، وألا يقول الا ما كان نافعا وضروري ، واذا دخلت حجرة مريض فتذكر طريقة جلوسك ، وكن متحفظا في كلامك ، معتنيا بهندامك وثيابك ، صريحا حاسما صادقا في أقوالك ، موجزا في حديثك ، هادئا ... ولا تنس ما يجب أن تكون عليه أخلاقك وأنت الى جانب فراش المريض ... واضبط أعصابك ، وازجر من يقلقك ، وكن على استعداد لفعل ما يجب أن يُفعل ... وأوصيك ألا تقسو على أهل المريض ، وأن تراعي بعناية حال مريضك المالية ، وعليك أيضا أن تخدم خدماتك من غير أجر ، واذا لاحت لك فرصة لأن تؤدي خدمة لانسان غريب ضاقت به الحال ، فقدم له معونتك كاملة ، ذلك أنه حيث يوجد حب الناس يوجد أيضا حب الفن » .

وأشار أبقراط في تعاليمه وارشاداته أيضا الى أن التعمق بالفلسفة ودراستها والعمل بموجب

نصوصها وتعاليمها ، هو المثل الأعلى لأبناء المهنة لأن « الطبيب الذي يحب الحكمة لا يقل عن الآلهة في شيء » .

وانطلاقا من هذه التعليمات والارشادات نلاحظ يوحى اليه بألوهيته قبل مولده (١) . « وأي مجد شأن الاخلاق في الطب ، ذلك أنه لم يكن طبيبا فحسب بل كان طبيبا ومدرسا ومعلما ومفيدا معا ، وربما كان القسم الذي أوردناه آنفا والذي يعزى اليه قد وضع لضمان ولاء طالب الطب لأستاذه ومعلمه .

يقول ول ديورانت مؤلف كتاب « قصة الحضارة » (١) : « في وسعنا أن نتبين ما تلوث به الطب الابقراطي في منشئه من عدوى الفلسفة بالنظر الى عقيدة « الأخلاط » المشهورة . يقول أبقراط : ان البدن يتكون من الدم ، والبلغم ، والصفراء ، والصفراء السوداء ، وان الانسان يستمتع بالصحة الكاملة اذا امتزجت فيه هذه الأركان بنسبها الصحيحة ، وان الألم ينشأ من نقص

---

(١) قصة الحضارة : ول ديورانت جـ ٢ ص ١٨٨ .

بعض هذه « الأخلاط » أو زيادتها أو انفصالها عن الاخلاط الاخرى ·

وقد بقيت هذه النظرية وعاشت بعد زوال جميع الفروض الطبية القديمة ، ولم يتخل عنها الناس الا في القرن الماضي ، ولعلها لا تزال باقية في صورة أخرى هي عقيدة الانوار (الهرمونات) أو افراز الغدد ، التي يقول بها الاطباء في هذه الأيام · اذ كان اليونان يعتقدون أن سير هذه الأخلاط يتأثر بالجو والطعام ، واذ كانت أكثر الامراض انتشارا في بلاد اليونان هي أمراض البرد ، وذات الرئة ، والملاريا ، لذلك كتب أبقراط رسالة موجزة في « الأهوية ، والمياه ، والأماكن » وعلاقتها بالصحة ، وفيها يقول :

« في وسع الانسان أن يعرض نفسه للبرد وهو واثق من أنه لن يصيبه منه سوء ، الا اذا فعل ذلك بعد الأكل أو الرياضة ·· وليس من الخير للجسم ألا يتعرض لبرد الشتاء » · وليس لنا أن نستحق بأقوال أبقراط وأتباعه هذه لأن من واجب الطبيب العلمي ، أيا كان مستقره ، أن يدرس الريـاح والفصول ، وموارد الماء الصالح للشرب ، وطبيعة

الأرض ، وأثر هذه العوامل كلها في السكان وحياتهم الصحية والاجتماعية ٠

والتشخيص أضعف النقط في طب أبقراط ٠ فقد يبدو أنه لم يكن يعني بقياس النبض ، وكانت الحمى تعرف باللمس البسيط كما كان الاستماع يحدث بالأذن مباشرة ٠ وكان يؤمن بالعدوى في أحوال الجرب ، والرمد ، والسل ٠ وفي كتابه عن (الجسم) صور اكلينيكية كثيرة للصرع ، والتهاب الغدة النكفية الوبائي ، وحمى النفاس ، والحمى اليومية ، وحمى الثلث ، وحمى الربع ٠ ولم يرد في المجموعة ذكر للجدري أو الحصباء ، أو الخناق (الدفتريا) أو الحمى القرمزية أو الزهري ، كما لم يرد فيه ذكر صريح للتيفود ٠

وتنزع رسائل : « التنظيم » نحو الطب الوقائي بدعوتها الى دراسة أحوال الداء في أول ظهوره ـ وهي محاولة لمعرفة أولى علامات المرض والقضاء عليه قبل أن يستفحل ٠ وكان أبقراط يرى أن معظم الامراض تصل الى مرحلة يقضي فيها اما عليها واما على المريض ذاته ، وان تقديره الحسابي ـ الذي يكاد يبلغ في دقته الحساب الفيثاغوري ـ

الذي يصل فيه المرض الى أشد حالاتـه لمن أخص خصائص النظرية الأبقراطية • وهو يقول في هذا المعنى انه اذا استطـاعت حرارة الجسم في هـذه الأزمات أن تتغلب على سبب العلة وتطرده مـن الجسم شفي المريض (١) •

ويقول : ان الطبيعة ــ أي قوى الجسم و بنيته ــ هي أهم علاج لكل مرض أيا كان نوعه ، وان كل ما يستطيع الطبيب أن يفعله هو أن يقلل أو يزيل العقبات القائمة في طريق هذين الدفاع والشفـاء الطبيعيين • ولهذا فان الطريقـة الأبقراطية لا تستخدم العقاقير في العلاج الا قليلا ، وأكثر مـا تعتمد عليه هو الهواء النقي ، والمقيئات ،والاقماع، والحقن الشرجية ،والحجامة، والادماء ،والكمادات، والمراهم ، والتدليك ، والمياه المعدنية •

ومن أجل ذلك كان دستور الأدوية اليوناني جد صغير يتكون معظمه من المسهلات • وكانت أمراض الجلد تعالج بالحمامات الكبريتيـة ، وبالتدليـك بدهن كبد الدلفين • ويسدي أبقراط للناس هذه النصيحة : « عش عيشة صحية تنج من الامراض

---

(١) قصة الحضارة : ول ديورانت جـ ٢ ص ١٨٩ .

الا اذا انتشر في البلد وباء أو أصابتك حادثة • واذا مرضت ثم اتبعت نظاما صالحا في الأكل والحياة أتاح لك ذلك أحسن الفرص للشفاء » • وكثيرا ما كان يوحي بالصوم اذا سمحت بذلك قوة المريض لأنا « كلما أكثرنا من تغذية الاجسام المريضة زدنا بذلك تعريضها للأذى » • ويمكن القول بوجه عام ان الانسان يجب أن لا يتناول الا وجبة واحدة من الطعام في اليوم اذا كانت معدته شديدة الجفاف » •

الطب في بلاد اليونان :

الطب في بلاد اليونان كان يأخذ الكثير من تفكير الحكماء والفلاسفة ورجال الدين ، ورغم مزج الطب بالفلسفة والدين ، فقد استطاع حكماء وفلاسفة وعلى رأسهم أبقراط أن يبعدوا الطب عن الدين والفلسفة فتقدم تقدما عظيما من الناحيتين الفنية والاجتماعية • ومما لا شك فيه أن الأطباء قبل أبقراط كانوا يتجولون من مدينة الى أخرى كلما دعت الحاجة الى هذا التجوال ، شأنهم في ذلك شأن السوفسطائيين في أيامهم والوعاظ والمرشدين والدعاة والمبشرين •

أما في عهد أبقراط فقد استقر الاطباء ، في

مدنهم وافتتحوا أمكنة للعلاج، يعالجون فيها المرضى تارة ويعالجونهم في منازلهم تارة أخرى • وكثرت عندهم الطبيبات ، وكن يستخدمن عادة في علاج أمراض النساء ، وقد كتب بعضهن رسائل في العناية بالجلد والشعر تعتبر حجة في موضوعاتها •

ولم تكن الدولة تحتم على من يريد ممارسة الطب أن يؤدي امتحانا عاما ، ولكنها كانت تطلب اليه أن يقدم لها أدلة مقنعة على أنه قد تمرن على طبيب معترف به • ووقفت حكومات المدن بين الطب المأمم والطب الخاص باستخدام أطباء للعناية بالصحة العامة ، ولعلاج الفقراء • وكان أكبر أطباء الدولة هؤلاء ، أمثال (دموسيدز) يتقاضون وزنتين في العام • وكان عندهم بطبيعة الحال دجالون كثيرون • كما كان عندهم عدد لا يحصى من الهواة الذين يدعون العلم بكل شيء في الطب ، وهؤلاء موجودون في كل زمان ومكان • ولقد قاست المهنة في تلك الأيام ، كما تقاسي في كل جيل من الأجيال ، الامرين من أعمال أقلية فيها خربة الذمة، عاجزة عن القيام بواجبها ، وثار اليونان لأنفسهم ، كما ثار غيرهم من الأمم ، من عدم وثوقهم بأطبائهم

بما كالوه لهم من السخرية والفكاهة اللاذعة ، التي لا تقل عن سخرياتهم من الزواج .

وكان تقدم علمي التشريح ووظائف الاعضاء في بلاد اليونان بطيئا ، وكان أكبر العوامل فيما أحرزاه من تقدم هو الفحص عن أحشاء الحيوانات في عمليات العرافة . وفي المجموعة الأبقراطية كراسة صغيرة « في القلب » تصف البطينين ، والأوعية الكبرى ، وصماماتها . وكتب سينيس القبرصي وديوجين الكريتي يصفان الجهاز الدموي ، وعرف ديوجين أهمية النبض . كذلك عرف أنبادوقليس أن القلب مركز الجهاز الدموي ، ووصفه بأنه العضو الذي يحمل النيوما ، أو الهواء الحيوي من الأوعية الدموية الى جميع أجزاء الجسم .

وفي كتاب الجسم يحذو أبقراط حذو القميون فيجعل المخ مركز الشعور والتفكير ويقول : « وبه نفكر ، ونبصر ، ونسمع ، ونميز القبيح من الجميل والغث من الثمين » (١) .

أما الجراحة فكانت لا تزال في معظم الاحوال

---

(١) قصة الحضارة : ول ديورانت ج ٣ ص ١٩٠ .

عملا لا يتخصص فيه الطلاب ، ويشتغل به كبار الأطباء ،وان كان من الموظفين في الجيوش جراحون • وتصف مؤلفات أبقراط عمليات التربنة ،والطريقة التي تصفها لعلاج انخلاع الكتف أو الفك «حديثة» في كل شيء عدا استخدام المخدرات •

وقد وجدت في هيكل اسكلبيوس بأثينة لوحة نذور نقشت عليها علبة تحتوي مباضع ذات أشكال مختلفة • ويحتفظ متحف أثينة الصغير بعدد من الملاقط ، والمسابر ، والمباضع ، والقثاطر ، والنظارات الطبية القديمة ، لا تختلف في جوهرها عن أمثالها المستحدثة في هذه الأيام • وفي رسالة أبقراط « في الطب » تعليمات مفصلة لتحضير حجرة العمليات الجراحية وتنظيم ما فيها من ضوء طبيعي وصناعي ، وتنظيف اليدين ، والعناية بآلات الجراحة وطريقة استخدامها وموضع المريض ، وتضميد الجروح وما الى ذلك •

ومن الملاحظ أن الطب الدنيوي قد تطور في بلاد اليونان أثناء القرن الخامس في أربع مدارس كبرى : في كوس ونيدس من مدن آسية الصغرى ، وفي كرتونا بايطاليا ، وفي صقلية • وفي أكرجاس

اقتسم أنبادوقليس ـ وهو نصف فيلسوف ونصف رجل معجزات ـ مفاخر الطب مع أكرون الطبيب المفكر المنطقي •

وفي كرتونا أخرجت المدرسة الفيثاغورية أوسع أطباء اليونـان شهرة قبـل أبقراط ، ونعني به القميون الذي يلقبونه الأب الحق للطب اليوناني •

الحكيم أنبادوقليس :

عندما يستعرض الباحث الطب عند اليونان لا بد له من أن يعرج على الحكيم أنبادوقليس الذي اكتسب شهرة واسعة في مجال الطب ، والفلسفة ، وحاول أن يشفي مرضاه بسحر الألفاظ ، والعزائـم ، والرقى ، وبالفعل شفي كثيرين منهم حتى كاد الناس يصدقون دعواه •

ومما لا شك فيه أن أنبادوقليس كان طبيبـا ماهرا ، ونطاسيا بارعا ، ذا آراء كثيرة في علـم الطب ، ومتمكنا من سيكولوجية الفن ، وفوق ذلك كان خطيبا مصقعا ، اخترع كما يقول أرسطاطاليس ، أصول البلاغة وعلمها غورغياس ، فعرضهـا هذا للبيع في أثينة ، وكان مهندسا أنجى سيلنس من

الوباء بتجفيف المستنقعات وتحويل مجاري الأنهار وكان سياسيا شجاعــا تزعــم ، وهو أرستقراطي الأصل ، ثورة على الارستقراطية الضيقة ، وأبى أن يكون حاكما بأمره ، وأقام حكما دمقراطيــا معتدلا • وكان شاعرا كتب في الطبيعة وفي التطهير شعرا بديعا اضطر أرسطاطاليس وشيشرون الى أن يضعاه في مصفــاف الشعراء المجيــدين ، وأظهر لكريشيوس اعجابه به بمحاكاته • وقال فيه ديوجين لبرثيوس : « واذا ذهب الى الألعاب الألمبية استلفت جميع الانظار ، حتى لم يكن يذكر انسان آخر بمثل ما يذكر به هو » • ولعله كان كما يقول الها •

كان مولد أنبادوقليس حوالي سنة ٤٩٠ قبــل الميلاد في عام « مرثون » من عائلــة غنية وقوية النفوذ ، نشأ وترعرع في « اغريغنتا » التي كانت من أعظم مدن صقلية عمرانا ، وكان من أنبغ أهل زمانه • عرف بالفلسفة والطب والشعر والخطابة ، درس بعض الوقت مع الفيثاغوريين ، ولمــا نضج عقله أخــذ يفشي بعض أسرار عقائدهم الخفيــة فطردوه مــن مجتمعهم ، وأبعــدوه عــن حلقاتهم ومدارسهم •

وكان الحكيم أنبادوقليس قوي العاطفة الدينية

الى حد أنه ادعا النبوة قبل الألوهية ، واستخـدم حكمته ومعارفه في سبيل الخير ، مما جعل الناس يصدقون دعواه ويتسابقون اليه اينما حل وكيفما توجه · « يسأله البعض أن يهديهم طريق الفلاح والصلاح ، ويطلـب اليـه آخرون أن يكشف لهم الغيب ، ويتنبأ لهم عن المستقبل ، ويتوسل اليـه غيرهم أن يسمعهم الكلمة التي تشفي المرض » على حد قوله هو ·

ومما زاد في احترام وتقدير الناس اليـه ، وتعلقهم به ، أنه كان يعطف على الشعـب ويسعى لتحقيق العدالة والمساواة ، وينفق أمواله الخاصة في سبيل الاحسان ومساعدة الفقراء والمحتاجين ، حتى عرض عليه الشعب أن يتوج ملكا على المدينة ، فرفض هذا العرض ، وعمـل بكل طاقـاته على المساعدة في تحقيق الديمقراطية ·

ويلاحظ أن أنبادوقليس كان مولعا أشد الولع بنظرية التناسخ ، حيث أعلـن بخيـال الشعراء وعواطفهم أنه كان « في سالف الأيام شابا ، وفتاة ، وغصنا مزهرا ، وطائرا ، وسمكة تسبح بهدوء في البحر العميق » · وذم أكل اللحوم ووصف الطعام

الحيواني بأنه لا يخرج عن أن يكون صورة من أكل اللحوم البشرية ، أليست هذه الحيوانات تجسيدا جديدا لبعض الآدميين ؟ وكان يعتقد أن النـــاس جميعا كانوا من قبل آلهة ، ولكنهم خسروا مكانهم في السماء لارتكابهم شيئا من الدنس أو العنف ، ويقول انه واثق بأنه يشعر في قرارة نفسه بمـــا يوحي اليه بألوهيته قبل مولده (١) · « وأي مجد عظيم وأية سعادة ليس فوقها سعادة قد تدهورت منهمـــا الآن ، وأصبحــــت أطـــوف الأرض مـــع الآدميين ! » ·

وطالما أنه كان يثق تمام الثقـــة بأنه يمت في أصله الى الآلهة ، فقد انتعل خفين من الذهب ،ولبس ثوبين أرجوانيين ، ووضع على رأسه اكليلا من الغار ، وقال لأبناء شعبه متواضعا انه محبوب أبلو ، ولم يعترف لغير أصدقائه بأنه الـــه ، وادعى أن له قوى فوق قوى البشر ، ومارس بعض طقوس السحر ، وحاول بطريق العزائم أن ينتزع من العالم الآخر أسرار مصير البشرية ·

ولما كـــان أنبادوقليس شاعرا مرهفا شديـــد

---

(١) قصة الحضارة : ول ديورانت جـ ٢ ص ٢٠٦ .

الحساسية ، والتعلق بالقضايا الدينية فقد بقي من أشعاره حتى الآن ٤٧٠ بيتا لا نجد فيهـا الا اشارات متقطعة لفلسفته ، فنرى منها أنه كـان يختار مبادئه من فلسفات مختلفة ، ويرى في كل طريقة من طرائقها شيئا من الحكمة ، ولا يوافق (بارمنيدس) على رفض جميع ما يأتي الينا من المعلومات عن طريق الحواس ، بل يثني على كـل حاسة ويرى أنها « طريقا موصلا للادراك » ·

وهو يرى أن الحس ينشأ من انبماث جزئيـات تنتقل من الجسم الخارجي ، وتقـع على مسـام الحواس ، ومن أجل هذا يحتاج الضوء الى بعض الوقت لكي يصل الينا من الشمس ، وينشأ الليل من اعتراض الارض لأشعة الشمس ، والاشياء كلها تتكون من عناصر أربعة : الهواء ، والنار ، والماء ، والتراب ، وتعمل في هذه العناصر قوتان رئيسيتان هما الجذب والطرد ، أو قوتا الحب والبغض ·

وينتج من اجتماع العناصر وتفرقها بفعل هاتين القوتين اجتماعا وتفرقا لا آخر لهما عالم الاشياء والتاريخ · فاذا كانت الغلبة للحب أي النزعة الى الاتحاد تحولت المادة الى نبات ، واتخذت الكائنات

العضوية أشكالا مطردة الرقي · وكما أن تناسخ الأرواح يؤلف من الانفس كلها سيرة واحدة ، كذلك لا يوجد في الطبيعة فرق واضح بين جنس وجنس ، أو بين نوع ونوع ·

ألا ترى مثلا يقول أنبادوقليس أن « الشعر ، وأوراق الشجر ،وريش الطيور السميك والحراشف التي تتكون على الاعضاء الصلبة ، كلها من نوع واحد ؟ » · والطبيعة تنتج كل نوع من أنــواع الاعضاء والاشكال ، والحب يؤلف بينها ، فيجعل منها تارة هولات غريبة تهلك لعــدم قدرتها على التكيف لتلائم البيئة المحيطة بها ، وتارة أخــرى يجعل منها كائنات عضويــة قادرة على التكــاثر ومواءمة ظروف الحياة · والاشكال العليا كلها تنشأ من الاشياء السفلى ، وقد كانت الذكورة والأنوثة في باديء الامر مجتمعتين في جسم واحد ، ثم انفصلتا وظلت كلتاهما تتوق الى الاتحاد مع الاخرى ·

ويوجد في مقابل عملية التطور هذه عمليــة الانحلال ، يمزق فيها الكره ، أو قوة التقسيم ، البنيان المعقد الذي أقامه الحب ، فتعود الكائنات العضوية والنباتــات عودا بطيئــا الى صور تزداد

بدائية يوما بعد يوم ، ويظل هذا يحدث حتى تختلط الأشياء جميعها مرة أخرى في كتلة خطيرة غير محددة الشكل ، وهاتان العمليتان المتبادلتان عملية التطور وعملية الانحلال مستمرتان الى أبد الدهر في كل جزء على حدة وفي الكل مجتمعا ، وتتنازع القوتان قوة الائتلاف وقوة التفرقة ، قوة الحب وقوة الكره ، قوة الخير وقوة الشر ، وتتوازنان في نظام عالمي شامل هو نظام الحياة والموت ·

ونلاحظ أن أنبادوقليس لم يحاول رد الاشياء الى مادة أولى واحدة كما فعل الأيونيون ، غير أنه اعتبر الماء ، والهواء ، والنار ، عناصر وأصولا ، وزاد عليها التراب ، فكان أول من وضع التراب مبدأ ، ولعل ثقل التراب كما يقول يوسف كرم هو الذي منع القدماء من اعتباره كذلك (١) · قال : ان هذه الاربعة مباديء على السواء ليست بينها أول ولا ثان ، لا تتكون ولا تفسد ، فلا يخرج بعضها من بعض ، ولا يعود بعضها الى بعض · لكل منها كيفية خاصة : الحار للنار ، والبارد للهواء ، والرطب للماء ، واليابس للتراب ، فلا تحول بين الكيفيات

(١) يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٣٦ .

ولكن الاشياء وكيفياتها تحدث بانضمام هذه العناصر وانفصالها بمقادير مختلفة ، على نحو ما يخرج المصور بمزج الألوان صورا شبيهة بالأشياء الحقيقية ٠

وانما تجتمع العناصر وتفترق بفعل قوتين كبيرتين هما المحبة والكراهية ، فالمحبة تشمل الذرات المتشابهة عند التفرق ، والكراهية تفصل بينها ٠ ويتغلب كل منها حينا في الدور الواحد من أدوار العالم ، دون أن تستقر الغلبة للمحبة فتسود الوحدة الساكنة ، أو للكراهية فتسود الكثرة المضطربة ٠ فيمر العالم بدور محبة تتخلله الكراهية ، فتارة ترجع الكثرة الى الوحدة ٠ وهي الكرة الأصلية الالهية تتحد فيها العناصر جميعا ــ وطورا تتفرق الوحدة الى الكثرة ، وتتعاقب الأدوار كل منها كما كان بالتمام الى ما لا نهاية ٠ والدور الذي نحن فيه الآن تسيطر عليه الكراهية ٠

وهكذا تتكون الآلهة والنفوس عند أنبادوقليس على النحو الذي ذكرناه ويعتبر الفيلسوف الوحيد الذي أدخل التراب في تركيب النفس ٠ غير أنها أمزجة يغلب فيها الهواء والنار ، لذلك كانت ألطف

وأدق • فالآلهة الحقة برأيه العناصر والمحبة والكراهية ، وكذلك تتكون الاجسام الحية • حيث تجتمع العناصر بمقادير معينة بفعل المحبة فتنبت في الارض رؤوس بدون رقاب ، وتظهر أذرع مفصولة عن الاكتاف ، وعيون مستقلة عن الجباه ، وتتقارب هذه الأمزجة اتفاقا على أنحاء متعددة ، فتكون منها المسوخ ، وتكون المركبات الصالحة للحياة ، فتنقرض الأولى ، وتبقى الأخرى •

فالحياة بنظره تعلل بأسباب آلية هي اجتماع العناصر وتأثير البيئة • والحياة واحدة في الأحياء جميعا ، لا تختلف الا بالضعف والقوة ، فللنبات شعور كما للحيوان ، ولكنه أضعف •

ويفسر لنا أنبادوقليس الاحساس فيرى أنه عبارة عن تقابل الاشياء وادراك الشبيه للشبيه • تنبعث عن الأشياء أبخرة لطيفة،فتتلافى الحواس، وان كانت النسبة في التركيب متفقة في الجهتين ، دخل البخار المسام وكان الاحساس ، وهذا سبب أن الحاسة الواحدة لا تحس ما هو خاص بالأخرى ، ولهذا أدخل حكيمنا الفيلسوف التراب في تركيب النفس ، حتى تدرك الاشياء الترابية •

أما الفكر فيتمركز في القلب حسب اعتقاد أنبادوقليس لأن الدم أكمل الامزجة ، واختلاف الناس عقلا يرجع الى اختلاف أجزاء الدم في حجمها وطريقة توزعها وتمازجها • ومكان الله في آراء وأفكار أنبادوقليس العرفانية المنطلقة من فلسفته وشعره يتراوح بين الحقيقة والمجاز أو بين الفلسفة والشعر ، فهو في بعض الأحيان يوحد بين الاله وبين الكون (١) نفسه ، وفي بعضها الآخر يوحد بينه وبين حياة كل حي أو عقل كل عاقل ، ولكنه يدرك أننا لن نستطيع قط أن نكوّن فكرة صحيحة عن القوة الخالقة الاساسية الاصلية • فهو يقول : « لن نستطيع أن نقرب الله منا قربا يمكننا من أن ندركه بأعيننا ، ونمسكه بأيدينا ••• ذلك أنه ليس له رأس بشري ملتصق بأعضاء جسمه ، وليس له ذراعان متفرعتان تتدليان من كتفيه ، وليس له قدمان ولا ركبتان ولا أعضاء مكسوة بالشعر • انه كله عقل لا غير ، عقل مقدس لا ينطبق عليه وصف ، يومض في طيات العالم كله وميض الفكر الخاطف » •

وأخيرا يتحف أنبادوقليس الشيوخ بارشادات

---

(١) قصة الحضارة : ول ديورانت جـ ٢ ص ٢٠٦ .

ونصائح أنطقته بها الحكمة فقال : « ما أضعف وما أضيق القوى المودعة في أعضاء الانسان ، وما أكثر المصائب التي تثلم حد التفكير ، وما أقصر الحياة التي يكدح فيها الناس والتي تنتهي بالموت . فاذا حل بهم زالوا من الوجود وتلاشوا كما يتلاشى الدخان وصاروا هواء ، يعرفون أن ما يحلمون به ليس الا الصغائر التي عثر عليها كل واحد منهم أثناء تجواله في هذا العالم . ومع هذا تراهم جميعا يفخرون بأنهم عرفوا كل شيء . ألا ما أشد حمقهم وأكثر غرورهم ! ذلك أن هذا الكلي الذي يفخرون بمعرفته لم تره عين ولم تسمعه أذن ، ولا يمكن أن يدركه عقل انسان » .

ويبدو أن حكيمنا أنبادوقليس قد تحول في آخر عمره واعظا دينيا ومرشدا اجتماعيا أكثر مما كان من قبل ، منهمكا في نظرية التجسيد ، وأخذ يتوسل الى بني قومه ليتطهروا من الخطيئة ويبتعدوا عن شهوات الدنيا التي طردوا بسببها من السموات ، ويدعو الانسان ، بما أوتي من حكمة ومعرفة أن يمتنع عن الزواج والتناسل .

ولما حاصر الأثينيون سرقوصة في عام ٤١٥ ،

بذل أنبادوقليس كل ما في وسعه لتأييد المقاومين واغضب بذلك أكرجاس ، التي كانت تحقـد على سرقوصة بكل ما في قلوب الأقارب من حقد دفين ، ونفي من بلده ، فذهب الى أرض اليونان القارية حيث وافاه الأجل في ميغارا كما تذكر بعض المصادر التاريخية ·

غير أن ديوجين ليرثيوس يروي عن هبوبوتس أن أنبادوقليس بعد أن أعاد الى الحياة الكاملة امرأة اعتقد الناس أنها ماتت غادر الوليمة التي أقيمت احتفاء بشفائها ، واختفى فلم ير بعد ذلك أبدا · وتقول بعض الأساطير انه ألقى بنفسه في فوهـة بركان اثنا الثائر لكي يموت من غير أن يخلـف وراءه أثرا ، فيؤيد بذلك دعواه أنه اله · ولكن النار المنصرية غدرت به،فقذفت بخفيه النحاسيين، وتركتهما على حافة كأس البركان ، كأنهما رمزان ثقيلان للفناء (١) ·

أنكساغوراس :

هذا حكيم آخر من حكماء اليونان الذين عاصروا

---

(١) قصة الحضارة : ول ديورانت جـ ٢ ص ٢١٠ .

أبقراط وكانت له معه وقفات تاملية وتفكيرية ، وخاصة ما يتعلق منها بمظاهر النزاع الذي قام بين الدين والعلم في تلك الأوقات عندما حرمت الشرائع الأثينية دراسة علم الفلك في الوقت الذي بلغ فيه عصر بركليز أعلى درجاته التطورية والتقدمية ٠

وكان هذا العلم قد خطا خطوته الأولى في اليونان عندما أعلن الحكيم انبادوقليس في أكرجاس أن الضوء يستغرق بعض الوقت في انتقاله من نقطة الى أخرى ٠ ثم خطا خطوة ثانية حين أعلن بارمنيدس في ايليا أن الارض كروية الشكل ، ثم قسم هذا الكوكب الارض الى خمس مناطق ، وعرف أن القمر يواجه الشمس بجزئه المنير على الدوام ٠ ثم قام فيلولوس الفيثاغوري في طيبة فخلع الارض عن عرشها في مركز الكون وأنزلها منزلة كوكب من الكواكب الكثيرة التي تطوف حول «نار تتوسطها» جميعا ٠ وجاء لوقيبوس تلميذ فيلولوس فقال ان النجوم قد نشأت من الاحتراق المتوهج لمواد « تندفع في مجرى الحركة العالمية للدوامة الدائرية » ومن تجمع هذه المواد وتركزها ٠

وقام في أبدرا دمقريطس تلميذ لوقيبوس بعده

أن درس العلوم البابلية ، فوصف المجرة بأنها مكونة من عدد لا يحصى مــن النجوم الصغرى ، ولخص التاريخ الفلكي بقوله انه تصادم دوري وتحطيــم لعدد لا يحصى مــن العالم · وفي طشيوز كشــف اينوبديز انحراف منطقة البروج · وجملة القول أن القرن الخامس كان في جميع المستعمرات اليونانية عصر تطور علمي عجيب في زمن يكاد يكون خلوا من الآلات العلمية (١) ·

وعندما جاء الحكيم أنكساغوراس وحاول أن يقوم بمثل هذه الاعمال في أثينة وجد أن مــزاج الأهلين ومزاج الجمعية معاديان للبحث الحر بقدر ما كانت صداقة بركليز مشجعة له ·

كان ولادة هذا الحكيم في أقلازومين بالقرب من ازمير من أعمال أيونية ، من أسرة شريفة · تلقى العلم في مدرسة انكسيمانس · ولما بلغ الاربعين من عمره ، كانت أثينة قد بلغت مكانة رفيعة ومتقدمة من العلوم والمعارف بعد انتصارهــا على الفرس وصد غاراتهم عن العالم اليوناني ، فنزح الى أثينة ليساهم من الفلاسفة والحكماء والعلماء في تقدمها

(١) قصة الحضارة :ول ديورانت جـ ٢ ص ١٧٨ .

ونهضتها العلمية ، وكان بركليس يستقدم اليها الأدباء والعلماء ليجعل منها مركز اليونان الطليعي في السياسة والثقافة والمعارف ، على السواء ٠

وعندما وصل اليها انكساغوراس وصلت معه الفلسفة العقلانية لأول مرة ٠ أقام فيها ثلاثين سنة، كان في خلالها القطب اللامع الذي تدور عليه الحركة الفكرية ، والنور المشع الذي تنبعث منه الاشعاعات العرفانية الانسانية ، ولما قرب نجم صديقه بركليس بالأفول ، أصبح هو بدوره هدفا سهلا لمؤامرات الخصوم السياسيين ، فاتهم بالالحاد ، واستشهد خصومه عليه وعلى صديقه بما كان قد ذهب اليه من أن القمر أرض فيها جبال ووديان، وأن الشمس والكواكب أجرام ملتهبة لا تختلف طبيعتها عن طبيعة الاجسام الارضية ، كما يتبين من مقابلة الاحجار المتساقطة من السماء بما عندنا من أحجار ، ولم يكن الأثينيون يطيقون مثل هذا القول لاعتقادهم ان كل ما هو سماوي فهو الهي ، فاضطر لمغادرة المدينة وعاد الى آسيا الصغرى ومات فيها ٠

مما لا شك فيه أن الحكيم أنكساغوراس كان يعتقد ان الاشياء متباينة في الحقيقة كما تبدو لنا ،

وان قسمة الأجسام ، بالغة ما بلغت ، تنتهي دائما الى أجزاء مجانسة للكل : تنتهي الى لحم في اللحم ، والى عظم في العظم ، فلا تلاشي القسمة أبدا طبيعة الشيء المقسم • وعلى ذلك فلا ترد الاشياء الى مادة واحدة أو الى بضع مواد معينة ، ومن باب أولي الى تنوع الكمية والحركة ، على أن الذي دفع الطبيعيين الى اتخاذ مواقفهم هو المشاهد من تحول الاشيـاء بعضها الى بعض ، وضرورة تفسير هذا التحول ، وانكساغوراس يعلم ذلك ، يعلم مثلا ان الخبز الذي نأكله ، والماء الذي نشربه ، ينميان جميع أجزاء البدن على السواء من دم ولحم وعظم وشعر (١) وظفر ، ولكنه يرفض أن يتابعهم ، وانما يقول : اذا كان الوجود لا يخرج من اللاوجود ـ باتفاقهم جميعا ـ فكيف يخرج الشعر من اللاشعر ، واللحم مما ليس لحما ؟ أمامنا ثلاثة قضايا كبرى : الواحدة أن الاشياء متباينة بالذات • والثانية أن لا يخرج الوجود من اللاوجود • والثالثة ان الكل يتولد من الكل • أو ان أي شيء يتولد من أي شيء •

فاذا أردنا الاستمساك بها جميعا ، قلنـا ان

---

(١) يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانيـة ص ٤١ .

الاشياء موجودة بعضها في بعضها على ما هي ، وان الكل في الكل ، أي ان الوجود مكون مـن مباديء لا متناهية عددا وصغرا هي طبائع أو جواهر مكيفة في أنفسها ، تجتمع في كل جسم بمقادير متفاوتة ، فيتحقق بهذا التفاوت الكون والفساد ، ويتعين لكل جسم نوعه بالطبيعة الغالبة فيه ، بحيث يكون كل جسم عالما لا متناهيا يحوي الطبائع على اختلافهـا كلا منها بمقدار ، فيختلف الظواهر والاسماء • واذن فالماء والخبز يحويان مباديء لا متناهيـة في الصغر عظمية ولحمية ودموية • بل ان المبـاديء جميعا تلتقي في كل ذرة تقع تحت الحس ، فلا يوجد جسم محسوس هو متجانس مهما دق ، بل المتجانس الطبائع الأولى • لذلك سماها بالمتجانسات ، التي هي أدق من أن ينالها الحس ، ولا يوجد كل هو أبيض خالص ، أو أسود أو حلو أو لحم أو عظم ، ولكن ما يغلب في الشيء هو ما يلوح انه طبيعته ، فيعرف به ويتميز عما عداه • فالكون والفسـاد استحالة شيء الى شيء يزيد بعض الطبائع فيظهر للحواس ، أو ينقص فيخفي عليها ويظهر غيره • وبعبارة أخرى « الكون ظهور من كمون » والفساد

كمون بعد ظهور ، دون أي تغير في الكيفية (١) ٠

ومن الملاحظ أن أرسطو يسمي هذه البذور باسم متشابهة الاجزاء ، أو المتجانسات ، وليس هناك أدنى اشارة الى هذا اللفظ في النصوص التي بقيت من مؤلفه ، وليس هناك ما يدل على أن أنكساغوراس قد استخدمه ٠ وانما نسبه اليه أرسطو وردده ثيوفراسطس ، والشراح المدرسيون، وانما أطلقه أرسطو لمشابهة الجسيمات أو البذور للأجسام أو الاشياء ، أو لتجانس الطبائع في الجزء والكل ، ولا شك أن هناك فرقا بين بذور أنكساغوراس وبين لفظ « المتجانسات » الذي نسبه اليه أرسطو ، اذ ليست البذور متجانسة ولكنها متباينة فيما تشتمل عليه من طبائع وكيفيات ، كما أن أجزاء البذرة الواحدة ليست متشابهة ، أو متجانسة لأن أنكساغوراس قد رفض فكرة العناصر البسيطة لدى أنباذوقليس فليست البذور عنده كجذور أنبادوقليس ـ في حالة انفصال ، ولكن كل بذرة تحتوي على جميع الكيفيات التي في الكل ، وبذلك يكون الجزء مساويا للكل كماً وكيفاً ، فهو

(١) يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٤٢ .

بذلك متجانس معه مشابه له (١) .

ونظرية البذور هذه قديمة ، اذا كانت الاشياء كلها معا جسيمات لا حد لها ، في خليط غير متميز ، فلا خصائص تحدد كل جسم منها أو كيفيات تعين أي شيء فيها ، فالمزيج الاول من البذور مختلط كل الاختلاط لا يتميز فيه شيء ، فليس متحركا بذاته ، لأن الجسم لا يتحرك من تلقاء نفسه ، فكان لا بد من قوة تخرجه الى الحالة التي عليها الموجودات ، فالتفسير الآلي للحركة غير مقنع ، كما أن علة الحركة لا تكون مصادفة أو اتفاقا ، لأن الاتفاق ليس الا لفظا نستر به عجزنا عن اكتشاف العلة ، كما أن الصدفة ليست الا لفظا أجوف اخترعه الشعراء ، ولكن العقل علة ألطف الاشياء وأصفاها ، بسيط مفارق للطبائع كلها ، اذ لو كان ممتزجا بشيء آخر أيا كان لشابهه سائر الاشياء ، ولما استطاع وهو يمتزج أن يكون بنفس القدرة التي يفعل بها وهو خالص مفارق ، عليم لكل شيء ، قادر على كل شيء متحرك بذاته .

واذا ما علمنا المكانة الرفيعة التي يحتلها العقل

---

(١) على سامي النشار : ديموقريطس ص ٤٠٠ .

كعلة للحركة في تاريخ الفلسفة لا بد لنا من أن نورد النص الحرفي كاملا لآراء أنكساغوراس في هذا المجال : « كل الاشياء تشارك في جزء من كل شيء ، بينما العقل لا نهائي ويحكم نفسه بنفسه مفارق لا يمتزج بشيء ، ولكنه وحده قائم بذاته ، وكان ممتزجا بغيره ، فانه كان سيشارك في كل الاشياء ، ما دام مختلطا بغيره ، لأنه في كل شيء يوجد جزء من كل شيء »

ولما كانت الاشياء المختلطة به ستحول دونه ، فلا يسيطر على شيء بنفس التي له الآن وهو مفارق ذلك انه ألطف الاشياء وأصفاها ، عالم بكل شيء قادر على كل شيء ، مسيطر على كل الاشياء، صغيرها وكبيرها ، وما لديه الحياة منها ، والعقل هو الذي لديه القدرة على احداث « الثورة » الكلية، ومن ثم كان بدء الحركة بدأت من نقطة صغيرة ولكن الثورة أو الحركة ـ امتدت الى مساحة أكبر ، ولا زالت ممتدة وكل الاشياء التي امتزجت وانفصلت وتميزت معروفة بالعقل ، والعقل نظم الأشياء التي كانت والتي توجد الآن والتي سوف تكون ، وكذلك هذه الثورة التي عنها تدور النجوم والشمس والقمر والهواء والأثير المنفصلين عنها ،

فهذه الثورة أحدثت الانفصال فانفصل المتخلخل عن المتكاثف ، الحار عن البارد ، والنور عن الظلمة الجاف عن الرطب ، وهناك أجزاء كثيرة في أشياء كثيرة ، ولكن لا ينفصل شيء عن شيء أو يتميز تماما الا العقل ، العقل كله متشابه ،كبيره وصغيره، بينما لا شيء آخر يشبهه • أي شيء آخر ، ولكن كل واحد من الاشياء كان وسيكون متشابها لتلك الاشياء التي تغلب عليه » •

انطلاقا من هذه الافكار نلاحظ أن العقل عند أنكساغوراس بسيط ، بينما سائر الموجودات مركبة ، وهو بسيط حتى يكون مساويا لنفسه في جميع أجزاء الوجود مساواة من حيث الكيف ، واذا كانت بعض الكائنات تحوي من العقل أكثر مما تحويه كائنات أخرى ، فذلك تفاوت كمي فحسب ، والعقل مفارق حتى يكون نافذا في جميع الاشياء لا يحول امتزاجه دون تأثيره على الكون أو على الكائنات ، ثم يتصف العقل عند أنكساغوراس بالعلم لأنه منظم للكون محدث للحركة الأولى في الوجود •

ويبدو أن أنكساغوراس قد خالف من تقدمه من الفلاسفة فلم يستخدم العقل في مرحلة تكوين العالم، ..

كما أنه لم يجعل هذا المبدأ الجديد علة غائيــة في العالم فيكون العقل سر النظام الدائم فيه ، والذي لا شك فيه أن أنكساغوراس لم يجعل من العقل ذاتا سامية لها وجودها المستقل عن العالم ، أو بالأحرى ذاتا الهية ، فلا يبدو العقل لديه أكثر من نــار هيرقليطس • أو المحبة والكراهية عند أنباذوقليس• وان أضفى عليه من صفات السمو كاللطف والنقاء والعلم والقدرة والبساطة والمفارقة (١) •

ولكن هذه الصفات تظل بحاجة الى ذات تتقدم بها • لذلك نلمس أن سقراط وأفلاطون وأرسطو يوجهون النقمة لفكرة أنكساغوراس رغم اعجابهم بها ، فليست فكرة العقل لديه كالاله الذي ينزل عن طريق الآلة في المسرحيات ، فحينما تبلغ الدرامــا عقدتها ولا يجد مخرجها أو مؤلفها مخرجا لهــا ليصل بالمسرحية الى نهايتها يقحم فكرة « الآلــة » ليحل الاشكال •

ولم يقف تفكير أنكساغوراس عند حدود العقل وتفسير العلة الفاعلة المفارقــة ، بل نراه يهتــم

---

(١) علي سامي النشار : ديموقريطس ص(٢٠٢–٢٠٤) .

بالظواهر الفسيولوجية أكثر من الظواهر الكونية، لأن العقل بنظره يدل على حركة الكائن الحي أكثر مما يدل عليه لفظ الروح ٠

« ففي البدء كانت جميع الاشياء معـا حسـب مفهوم أنكساغوراس ، لا نهاية لها في العدد والصغر، كانت عبارة عن جسيمات لا حد لها في خليط غير متميز ، حيث لا خصائص أو كيفيات تميز شيئا فيها ، ثم حرك العقل هذا المزيج في احدى نقطة ، حركة صغيرة ، فامتدت الحركة واتسعت في دوائر متعددة متتابعة ، حتـى عمت الكـل ، فانفصلت الاشياء نتيجة الحركة الدائرية ، اذ لا تشبه سرعتها سرعة أي شيء من الاشياء الموجودة الآن بين الناس، بل تفوقها مرات كثيرة ٠

أول ما انفصل الكثيف عن المتخلخل ، والحار عن البارد ، والنور عن الظلمة ، واليابس عـن الرطب ، واجتمع الكثيف والرطب والبارد والظلام في المركز ، بينما ذهب المتخلخل والحار واليابس خارجا الى أبعد جزء من الأثير ٠

المرحلة الثانية انفعال السحب والمـاء والارض والأحجار عن الهواء ، اذا انفصل الماء من السحب

والتراب من الماء ، وتجمع التراب وتجمد فكانت الأحجار بفعل البارد ، واندفعت الحجارة بقوة خارج الماء ، وهكذا انفصلت الأجرام السماوية عن المركز ، اذ ليست هي الا حجارة ملتهبة ، أما الالتهاب فيها فبسبب السرعة الفائقة للحركة الدائرية (١)» ·

وليست الأرض في نظر أنكساغوراس ، سوى قرص مسطح معلقة في الهواء ، لأنه لا خلاء فيها ، تماما كما يظل « البالون » معلقا يحمله الهواء نتيجة الهواء المنفوخ فيه · وتستمد الأنهار مياهها من المياه الجوفية ، لأن الارض جسم أجوف ، ويفيض النيل صيفا بسبب سقوط الامطار وذوبان الجليد على جبال الحبشة · والشمس والقمر والنجوم تدور بفعل الحركة الدائرية للأثير ، وهناك أجسام أخرى تدور مع أننا لا نراها ، وليست هذه الكواكب الا أجساما نارية ، ويستمد القمر ضوءه من الشمس ، والقمر جزء من الارض ، انفصل عنها وفيه جبال وسهول ووديان ، كما أن انكساغوراس يعتقد بأن القمر مسكون بالأحياء ، وخسوف القمر

---

(١) علي سامي النشار : ديموقريطس ص (٤٠٦ — ٤٠٧) ·

يكون لأن الارض تحجب نور الشمس عنه ، أو بفعل مرور كواكب أخرى أمامه ، كما أن كسوف الشمس لأن القمر يحجبها عنا ، والنيازك والشهب يرى أنها ليست سوى أجسام قفزت من الكواكب بفعل الحركة السريعة لها ، والبرق والرعد نتيجة الحرارة في السحب ، وتهب الرياح نتيجة تخلخل الهواء بفعل حرارة الشمس .

كنا قد أشرنا الى نظرية أنباذوقليس حول تعرف الاشياء بأضدادها ، وان التشبيه يدرك بالتشبيه ، ولكن زميله الحكيم أنكساغوراس يعارضه في هذه النظرية ويرى ان التشبيه لا يؤثر في الشبيه ، أما المختلف فهو وحده الذي يحدث التأثير فيما يختلف عنه ، فالابصار يتم نتيجة انعكاس صورة الجسم المرئي في حدقة العين ، ولكن لا تتم الرؤية اذا كان الجسم المرئي من نفس لون الحدقة ، ولذا تتعذر الرؤية ليلا ، حيث تكون الاجسام مظلمة كلون انسان العين ، وكذلك يتم اللمس والذوق ، فالانسان لا يدرك الجسم الحار اذا كان في نفس حرارة اليد ، ولكن اذا كان أقل حرارة من اليد شعر ببرودته ، واذا كان أعلى حرارة شعر بدفئه ، نحن اذن نعرف الحار بالبارد ، وكذلك العذب

بالمالح ، والحلو بالمر ، كل ذلك لأنها تباين حواسنا، ومن ثم فالادراك الحسي يبدأ بالحواس نفسهـا ، كذلك يتم الشم والسمع ، يرتبط الشم بالتنفس والسمع بالمخ ، لأن العظام المحيطة به جوفاء يتردد فيها الصوت .

ويرى أنكساغوراس ان كل احساس ينطوي على ألم ، كوننا نشعر بالألم نتيجة الافراط في الاحساس أو اجهاد الحواس ، فالألوان البراقة ، والاصوات المزعجة تولد الألم ، وقوة الاحساس ترتبط بالعضو الحساس ، فالعيون البراقة الصافية ، أقوى وأبعد نظرا ، وكذلك الآذان الكبيرة للحيوانات الضخمة تسمع الاصوات البعيدة ، بينما الآذان الصغـيرة للحيوانات الدقيقة لا تدرك الا ما كان قريبا .

غير أن الحواس قاصرة ، بحيث لا يمكـن ادراك الحقيقة لها ، ولكن المعرفة العقلية هي وحدها التي يمكن الاعتماد عليها ، فالحواس مثلا لا تدرك البذور في الأجسام ولا وجود جسيمات اللون الاسـود في الثلج ، ولكنها تمكننا من ادراك الصفات الغالبة فقط في الاجسام .

ديموقريطس :

اذا ذكرنا أنكساغوراس واستعرضنا أفكاره الفلسفية ، لا بد لنا من أن نستعرض أيضا حياة حكيم آخر كان معاصرا له ، عاشا في نفس القرن الخامس قبل الميلاد • ولكن شخصية ديموقريطس يكتنفها الغموض ذلك يعود الى شخصيته الغريبة أكثر من رجوعه الى فقدان بعض المعلومات التاريخية عنه ، فمسقط رأسه أو بالأحرى يرجح أنه كان في أبديرا من أعمال تراقية ، ويؤكد هو بالذات في كتابه « نسق العالم الاصغر » بأنه كان رجلا صغيرا في شيخوخة انكساغوراس،وأنه كان يصغره بأربعين عاما • وينطبق هذا القول تماما على تأكيد أبولودورس بأن : ديموقريطس ولد في الثمانين أولمبيا (٤٦٠ ــ ٤٥٧ ق•م) •

وعلى العموم فالأقوال متضاربة ومتناقضة حول ولادة هذا الحكيم الكبير فهناك من يرى أو بالأحرى يفرض بأن ديموقريطس وانكساغوراس كانا معاصرين لهيراقليطس وأنهم ولدوا جميعا في مستهل القرن الخامس قبل الميلاد •

كان والده الذي منح اسمه على أنه تارة

هيجستراتوس ، وتارة أخرى أثينوكريتوس ،وتارة ثالثة داماسيبوس ، صاحب ثروة ومركز اجتماعي ممتاز في أبديرا • ويقال أنه استضاف اكسركس أثناء زحفه على تراقية ، وتشير القصة الى أن اكسركس ترك بعضا من أهل بيته عند مضيفه ، وأن هؤلاء الذين تركهم ، هم الذين علموا ديموقريطس في شبابه علم الفلك الشرقي واللاهوت (١) •

ومما يروى أن ديموقريطس ـ وهو الابن الثالث ـ أخذ نصيبه من الميراث بعد وفاة والده عداً ونقداً ، وصرف كل هذه التركة على رحلاته وتجواله ، كونه كان مولعا بالرحلات ، فزار مصر ، وتعلم الرياضيات فيها من الكهنة ثم اتجه الى الشرق ، فذهب الى ايران ، ثم الى الهند فعايش الفلاسفة الهنود وتجادل معهم في الافكار العقلانية •

ويقال أنه كان يكثر من الخلوات التأملية ، خاصة بين القبور ، لأن هذه العادة كانت معروفة عند حكماء وفلاسفة الشرق • وتشير بعض

---

(١) علي سامي النشار : ديموقريطس ص ٦ .

النصوص التاريخية الى أن ديموقريطس قد سمع الى أنكساغوراس ، ولكن على الرغم من أنه لا يوجد شيء متناقض ومختلف في عمريهما يجعل هذا الاستماع مستحيلا ، فقد تمت المقابلة بينهما على الأرجح خلال زيارة ديموقريطس القصيرة لأثينا • وذلك ظاهر في آثار ديموقريطس التي توضح تأثير انكساغوراس في بعض نظرياته •

ومهما كانت المشكلة سواء سمع ديموقريطس الى محاضرات أنكساغوراس ، أو تتلمذ على سقراط ، أو تأثر بالفيثاغورية ، فقد كان واسع العلم ، كثير المعرفة ، له أبحاث ودراسات شاملة كل المعارف التي وجدت في عصره • عمَّر ديموقريطس طويلا بين تسعين عاما وبين مائة وتسعة أعوام • وقيل أنه أصيب بفقدان البصر قبل أن يتوفى ، بل وقيل أكثر من ذلك أنه جعل نفسه أعمى ذاهبا الى أن ما يستطيع أن يراه بعين النفس هو أصدق وأجمل من الاشياء التي يراها بالعين الجسمية • وهناك حكاية فحواها أنه لما أدرك أن قدراته أصبحت تتضاءل ، فضل ، أن يموت رافضا أية مساعدة للتقوية أو المعالجة ، ولكن خلال اصابته بالثيسموفوريا بعد ذلك ، أطال حياته باستنشاقه

لأرغفة الخبز الحارة، ولهذا لم يمنع شقيقته ــ وهي في حالة حزنها على موته البطيء ــ من أن تشارك في احتفال بهيج • وسواء أكانت هذه القصة صحيحة أم كاذبة ، فانها تؤكـد قوة عزيمته من ناحيـة وشعوره الطيب تجاه الآخرين من ناحية أخرى •

ديموقريطس والنظرية الذرية :

عندمـا طلـع الفيلسوف لوقيبوس بنظريتـه الذرية ، أخذ ديموقريطس العناصر الرئيسية من هذه النظرية دون أن يجري أي تعديل جوهـري عليها ، بل حاول أن يجعلها أكثر دقة وتحديدا ، فقال بأن طبيعـة الاشياء الابديـة هي موجودات صغيرة ، غير محددة عددا ، وافترض المكان على أنه لا متناهي في الامتداد • ومع أن هذا الرأي يوافق ما قاله لوقيبوس ، ولكنه أكثر العبـارات المرتبطة به وضوحا ودقة •

لقد وافق ديموقريطس لوقيبوس على كافـة كلامه عن الجزئيات النهائيـة باعتبارها ذرات ، وحتى على ما قاله حول الاجسام المؤلفة ، والمكان الذي شبهه بالخلاء • ولكنه أضاف الى هذه الآراء

اسم اللامحدود للمكان ، كما أضاف الاشكال للذرات ، وهو اسم منسجم تماما مع الجزء الهام الذي يلعبه شكل الذرات في مذهبه • وأكثر أهمية ظاهرة عند ديموقريطس هي اتجاهه نحو المشكلة القديمة عن المكان الفارغ ، تلك المشكلة التي حلها لوقيبوس بمهارة •

ويقول الدكتور علي سامي النشار (١) : « ولم يقبل ديموقريطس ـ متبعا خطوات أستاذه ـ الجسم على أنه الوجود التام الوحيد ، ولكنه أكد اعتقاده في مصطلحاته ، فكان يتحدث عادة عن الذرات على أنها « أشياء حقيقية » كما وصف الخلاء لا على أنه « غير حقيقي » كما فعل لوقيبوس ولكن على أنه « لا شيء » يقابل الاصطلاح الذي اخترعه ببساطة وهو « الشيء » الذي يصف به الذرة • ومن ثم يأتي دفاع لوقيبوس الشهير عن وجود الخلاء ضد الرأي الايلي عند ديموقريطس على شكل أن « الشيء لا يوجد بعد ذلك أكثر من اللاشيء » • ويبدو أن أرسطو قد اقترح أساسا آخر ، لو انتمى حقيقة الى ديموقريطس فانه سيوضح بأكبر درجة

---

(١) ديموقريطس ص (١٧ ــ ١٨) •

تصور الخلاء · لقد اكتفى لوقيبوس بالحديث عن الخلاء · واكتفى الايليون بانكار وجـوده على الاطلاق واعتبروه غير حقيقي وغير موجود ، أمـا ديموقريطس فباستطاعتـه التمييز بين السلبيتين اليونانيتين الاثنتين ـ كما يرى أرسطو ـ أطلق على الخلاء « اللاشيء » أو « اللاحقيقي » · وبذلك استطاع ديموقريطس على هـذا النحو أن يميـز الخلاء ، وأن يؤكد بجرأة فائقة هو ولوقيبوس أن وجوده يأتي من اللاوجود المطلق ، ومن ثم استطاع أن يتخلص مـن اعتراض معارضيـه بالعبـارات وبالحجج » ·

ويخلص الدكتور النشار من مناقشة هذه الافكار الى القول : « ولقد جعل ديموقريطس الفكرة الذرية أكثر تحديدا بتحليله الدقيق لفكرة « الخلاء » · كما أن تأكيد ديموقريطس لأبدية العالم ، وتأكيده أيضا للفكرة الاساسية للضرورة انما كان تمحيصا مسبقا للأساس الميتافيزيقي ، ليس من أجل النظرية الذرية فقط ولكن بالنسبة أيضا الى أي نظرية علمية عن العالم · وهذه هي في الواقع الخاصية التي تظهر من خلال عمله (١) ·

---

(١) ديموقريطس ص (٢٢ ــ ٢٣) ·

ان ديموقريطس لم يكن ذو عقل ، يمكنه من تنسيق كل اهتماماته المختلفة ، وآرائه في كـل مترابط متصل ، ولكن نشاطاته الجانبية المتعددة ساقته الى ميادين غير معروفة بالنسبة الى لوقيبوس، وعلى وجه خاص ، ونظرا للملم الذي أوضحـه ديموقريطس بوفرة فانه كان مستعدا الى أن يفكر خارج مقترحات النظرية الفيزيقية التي قبلها » ٠

خلق الأشياء :

ولما كانت الأسس العامة لنظرية الذرة عنـد ديموقريطس لا تحتوي على أي تعديلات تلفت النظر وتستحق الاستعراض والمناقشة ، فقد أصبح من الضروري علينا أن نتلفت الى الاجزاء الفردية لهذه النظرية ، التي أجرى عليهـا ديموقريطس بعض التغيرات والتعديلات حتى تمكن من الباسها ثـوب جديد جاء معبرا ومجسدا نظرته الثاقبـة المميزة لاتجاهه العام ٠ وخاصة ما يرتبط بدوام المـادة كأساس للمتطلبات الفيزيقية ، نظرا لعدم قابليتها للتحطيم ، وذلك لصلابتها التي تجعلها غير قادرة لأن يؤثر فيها ، ولصغرها الذي يعود الى الحقيقة القائلة بأنها « بدون أجزاء » ٠

ونلاحظ أن ديموقريطس اعتمـد على فكرة الصلابة عندما حاول أن يبرهن على بقاء ودوام المادة ، مدعما هذه الفكرة وشارحا لها بتعديلاته الخاصة • ولقد أشار جالينوس من جانبه الى هذه النقطة وماهية الخلاف حولها بين مدارس الذريين المختلفة فقال : « منهم أيدوا أن الأجسام الأولى لا يمكن أن يؤثر فيها ، وبعضهم مثل جماعة أبيقور سلمـوا بأن الذرات لا تقبـل الكسر لصلابتها ، والبعض الآخر مثل تلامذة لوقيبوس سلموا بـأن الذرات لا تنقسم بسبب صغرها » •

مما لا شك فيه بأن لوقيبوس قد جعل للذرات « خواص أولية » هي عبارة عن الحجم والشكل ، وبعده جاء ديموقريطس ففسر متضمنات أفكـار وآراء لوقيبوس بمنطق جديد وبتركيب غير متردد • ولكن الاختلاف بين لوقيبوس وديموقريطس ظاهر بين فيما يتعلق بحجم الذرات ، ذلك أن عدم قبول ديموقريطس للصغر لمناقشة البقاء أو الدوام جعله يتنازل بصراحة عـن الصغر ، وأن يسلم بذرات كبيرة جدا ، وكان اتجاهه فيما يتعلق بشكل الذرات له نفس الخاصية ،لقد سلم لوقيبوس بأن الاختلافات في الاشياء المركبة يرجع بأكبر قدر الى اختلافـات

شكل الذرات المكونة لها • وأن ملاحظة الاختلافات العظيمة في الاشياء تقودنا الى قبول العديد من الأشكال المختلفة للذرات •

ولما كان ديموقريطس يفوق أستاذه عمقا وتفكيرا وتركيزا ، فقد لاحظ أن الاختلافات الناجمة عن الشكل الذري ، لا متناهية عددا • وليس هناك من سبب يوجب أن يكون أي شيء من نوع معين وألا يكون من نوع آخر • ومن الطبيعي أن تتبع الاختلافات اللامتناهية في الشكل الاختلافات اللامتناهية في الحجم ، لأنه من خلال تحديدات نفس الحجم ، لا تنتج الا اختلافات محددة في الشكل، ولا يمكن أن نحصل على اختلافات أكثر في الشكل الا بزيادة في الحجم •

ولما كان ديموقريطس يرى وجوب القبول بفكرة وجود ذرات كبيرة جدا ، لم يكن رأيه هذا معرضا لنفس الاعتراض ، وحاول تضييق شقة الخلاف فسلم بأن الذرات حاصلة على كل نوع من الشكل والحجم •

وتصور أيضا ديموقريطس أن جميع الذرات كائنات متجانسة تماما في الجوهر المادي ، وهذا

التصور يعتبر ضروريا ضرورة نهائيـة للمذهب الذري • كما أنه الحالة الوحيدة التي تمكن المذهب المادي من أن يدعي وحد أساسية في وصفه للعالم ، وكذلك بالنسبة للاختلافات الثلاث للذرات ، وهي الشكـل والوضع والنظـام ، الـذي عبر عنهـم ديموقريطس بهـذه الاصطلاحـات « الاتـزان » و « الدوران » و « التماس » •

ويبـدو أن ديموقريطس حتـى يحـافظ على التوفيق في خلـق الاشياء قسَّم الوجود الواحـد المتجانس ، الى عدد غير متناه من الوحدات المتجانسة غير المحسوسة لتناهيها في الدقة ، ووضعها في خلاء غير متناه لتتحرك فيه ، فتتلاقى وتفترق ، فتحدث في تلاقيها الكون والفساد • وذهب الى أنها قديمة من حيث أن الوجود لا يخرج من اللاوجود ، وانها دائمة من حيث ان الوجود لا ينتهي الى اللاوجود ، وأنها متحركة بذاتها • وواحدها الجوهر الفرد أو الجزء الذي لا يتجزأ ، فانها جميعا امتداد فحسب ، أو ملاء غير منقسم • فهي متشابهة بالطبيعة تمام التشابه ، وليست لها أية كيفية ، ولا تتمايز بغير خاصيتين لازمتين من معنى الامتداد ، وهما الشكل والمقدار : أما الشكل فمثل NA , AN ، ومنهـا

المستدير والمجوف والمجرف والمحدب والأملس والخشن الى غير ذلك ، وأما المقدار فيتفاوت مع ابائه القسمة ، وخلوه عن الثقل ، كذلك يتميز الخلاء الفاصل بينهما بالمقدار والشكل • وليس الخلاء عدما ، ولكنه امتداد متصل متجانس ،يفترق عن الملاء بخلوه من الجسم والمقاومة • ويعرّف ديموقريطس الملأ وجودا ، والخلاء لا وجودا ، ويعتبر أنهما علتين ماديتين على السواء (١) •

والنفس عند ديموقريطس مادية مؤلفة من أدق الجواهر وأسرعها حركة ، من حيث أن النفس مبدأ الحركة في الاجسام الحية • ومثل هذه الجواهر هي المستديرة التي تؤلف النار ألطف المركبات وأكثرها تحركا • فالنفس جسم ناري • وهذه الجواهر منتشرة في الهواء ، يدفعها الى الاجسام ، فتتغلغل في البدن كله ، وتتجدد بالتنفس في كل آن • وما دام التنفس دامت الحياة والحركة (٢) • وهي أوفر عددا في مراكز الاحساس والفكر ، أي في أعضاء الحواس والقلب والكبد والمخ ، فانها تكتسب

---

(١) ارسطو : ما بعد الطبيعة م١ف٤؟ وكتاب الكون والفساد م١ف٨ .
(٢) ارسطو : كتاب النفس م١ف ٢ .

الحساسية اذا توافرت • وما دامت حاصلة كلها في البدن دام الشعور ، فاذا ما فقد بعضها كان النوم واللاشعور ، واذا فقد معظمها كان الموت الظاهر ، واذا فقدت جميعا كان الموت الحقيقي أي فناء الجسد ، وتحقيق الادراك الحسي ان بخارات لطبقة تتحلل من الاجسام في كل وقت محتفظة بخصائص الجسم المتحللة منه ، فهي صور وأشباه تفعل في الهواء المتوسط بين الشيء والحاسة فعل الخاتم في الشمع ، وتتغلغل في مسام الحواس فتدرك • وانما يختلف انفعاليا بها لاختلاف الجواهر المؤلفة للأجسام ، فالخشنة منها تؤلف الأجسام المرة والحامضة ، بينما الملساء تؤلف الاجسام الحلوة ، وهكذا • وأما الفكر فما هو الا الحركة الباطنة التي تحدثها الاحساسات في المخ ، أو هو الصورة المحسوسة ملطفة ، فان الاحساس هو المصدر الوحيد للمعرفة ــ فلم تخرج عن المادة ــ واذن فليس للانسان أن يرجو خلودا ، وانها سعادته في طمأنينة النفس وخلوها من الخرافات والمخاوف ، وتتحقق هذه الطمأنينة بالعلم بقانون الوجود والتسليم له ، والتمييز بين اللذات ، والتزام الحد الملائم فيها ، فان تجاوز الحد يجر الألم •

ويبدو أن ديموقريطس قد قال بالمذهب الآلي وصاغه في قالب جديد حيث قال ان كل شيء امتداد وحركة فحسب ، ولم يستثن النفس الانسانية ولا الآلهة فذهب الى أنهم مركبون من جواهر كالبشر ، ولكن تركيبهم برأيه أدق ، لذلك هم أحكم وأقدر وأطول عمرا بكثير • ولكنهم لا يخلدون ، لأنهم خاضعون للقانون العام ، أي للفساد بعد الكون واستئناف الدور على حسب ضرورة مطلقة ناشئة من المقاومة ، والحركة ، والتصادم ، دون آية غائية أو علة خارجة عن الجواهر ، مثل المحبة والكراهية، ودون أية علة باطنة مثل التكاثف والتخلخل ، ودون أية كيفية •

ويعتبر ديموقريطس أن المعرفة الحقة توجد في العقل ، كون العقل صدى للحس ، يرتفع فوق الحس ويدرك اللامحسوسات ، مثل الجواهر والخلاء •

أبقراط والذكر والأنثى والجنين :

بعد أن قدمنا لمحات خاطفة عن عدد من الحكماء الذين عاصروا أبقراط ، وكانوا على علاقة متينة

معه نعود الى أبقراط لنستعرض بعض ارشاداته ونصائحه الطبية التي قدمها لأبناء الانسانية لتكون على مرور الأزمان والاجيال نبراسا ينير الطريق للأطباء ، وللعاملين في حقول المحافظة على الصحة الانسانية العامة .

يقول أبقراط وهو يتحدث عن علة كون الذكر والأنثى وكثرة الولد وقلتـه وعلـة التوأم وتمام الأعضاء ونقصها : « ... اذا قوي زرع المـرأة والرجال جميعا كان الولد ذكرا ، وان رق زرعهما وضعف كان أنثى ، وان في زرعهما جميعا الذكران والأناث ، عرفت ذلك من نسوة كن يلدن أناثـا فتزوج بهن غير أولئـك الأزواج فولـدن عندهم ذكورة ، وتزوج أزواجهن غيرهن فولدن ذكورة . وهكذا عرف ذلك فيمن تولـد لهم ذكورة ، ولولا تضاد المنصرين الفاعلين لكان الولد كله ذكرانا أو أناثا ، وأنه اذا غلبت على الزرع الحرارة كـان الولد ذكرا ، وان غلبت عليه البرودة كان الولـد أنثى ، ولذلك صار الذكر أسرع حركـة وأجهـر كلاما ، وصار ذكره باردا متدليا فهو يقذف الزرع لحرارته الى داخل قذفا قويا ، فأما الأنثى فهي أبطأ حركة وأرطب نعمة ، وقبلها غائر منقبض الى داخل،

وينصب لذلك زرعها في الرحم انصبابا لكثرة رطوبتها ، ولذلك صرن النساء أسرع ادراكا في الرحم وأسرع انقطاع ولادة لأن الشيء الضعيف الناقص أسرع ادراكا وانتهاء من التام القوي ·

ومن علل الذكر والأنثى أيضا هبوب الرياح ، لأن الجنوب ترخي الأبدان وتذيب الزرع فيخرج رقيقا نيا غير نضج ، والشمال تصلب البدن وتمنع الحرارة من الانتشار فيخرج الزرع وقد أنضجته الحرارة ، وذكر ان الرعاة يعرفون ذلك في فعل الرياح في نتاج غنمهم ، ولذلك صار المشايخ والغلمان أكثر ولدهم الاناث وأكثر ولد الشباب الذكورة لقوة حرارة الشباب وضعف حرارة أولئك · وملاك ذلك كله باعتدال ، فان الحرارة الشديدة تحرق الزرع والحرارة الضعيفة تعجز عن انضاجه ، وقال ان السمان من الناس وسائر الحيوان يقل زرعهم فيقل لذلك ولدهم ، وكذلك أيضا أمر عظام الشجر يقل ثمرها لأن أغذيتها تذهب وتتفرق في تربية أبدانها وأغصانها ،ولذلك تكسح الفلاحون أغصان الشجرة لتصير أغذيتها زيادة في ثمارها دون الاغصان ، وهذا بيّن في الفيلة فانها تلد في اثنا عشر سنة مرة ولدا واحدا وتلد السنانير

والكلاب والجرذان في السنة مرارا ، وفي كل مرة عدة أولاد .

وقال أبقراط ان السمان من الناس أقل عمرا من المهازيل ، لأن السمن يسد مجاري أبدانهم فتختنق الحرارة الغريزية فيها فتنطفيء من أدنى علة ، فأما المهازيل فان مجاري أبدانهم واسعة وحرارتهم أقوى ، وقد اتفق قول أبقراط هذا في تشبيه كون الناس بكون الشجر وسائر الحيوانات وهما الفاضلان المبرزان ، وقال ابقراط ان الزرع اذا جرى عن يمين الرجل الى يمين المرأة كان الولد ذكرا وان جرى الزرع من يسار الرجل الى يسار الرحم كان الولد أنثى وان جرى من يسار الرجل الى يمين الرحم كان الولد أنثى مذكرا وان جرى من يمين الرجل الى يسار الرحم كان الولد ذكرا مؤنثا ، وقد يكون جماع واحد عدة أولاد مثل ما يكون من الكلاب والخنازير » .

أما الحبل وعلاماته فيقول عنه أبقراط : ان ضمرت ثدي الحبالى أسقطن وان ضمرت احدى الثديين أسقطت الجنين الذي في شق الثدي الضامرة ، وان حسن لون المرأة دل على أن الجنين ذكر ، وان

قبح لونها دل على أن الجنين أنثى ، ومعناه أن الذكر حار والأنثى باردة والحرارة تحسن اللون،والبرودة تقبحه وتخضره ، واذا أردت أن تعرف هل تحبل المرأة أم لا فأجلسها على كرسي مثقوب واغطها بالثياب ، وبخر تحتها بقسط أو سندروس أو عود فان وجدت ريح البخور من منخريها فانها قد تحبل والا لم تحبل ، وان لم تخرج الرائحة من الأنف دل على أن في مجاري البدن والرحم مفسدة ، فان شربت المرأة عسلا ممزوجا عند النوم تركت العشاء فان أصابها مغص حول السرة فهي حبلى والا فلا ، وان رفعت المرأة في قبلها الثوم ونامت عليه ووجدت من الغد رائحة الثوم فهي حبلى ، وان لم تجد فليس بها حبل .

وقال أبقراط ان كانت في الجانب الأيمن من الرحم قرحة ثم حملت المرأة كان ولدها أنثى ، وان كانت القرحة في الجانب الايسر من الرحم ثم حبلت المرأة كان الولد ذكرا ، لأن القرحة تشغل موضعها فلا يكون فيما يلي القرحة الجنين ، وقال أيضا من صفر من النساء وكانت بيضاء حمراء كانت أكثر حبلا ممن عظم منهن ، أو كانت حمراء شقراء ، وقال أيضا ان المرأة الباردة جدا لا تحبل لأن البرد

يجمد الزرع ، والحارة جدا لا تحبل لأن الحرارة تحرق الزرع ، وكذلك اليابسة والرطبة جدا ، لأن اليبس يجفف الزرع والرطوبة تزلقه وتخرجه .

في الأسنان وفصول السنة :

قال أبقراط وهو يتحدث عن الأسنان وفصول السنة واختلاف الليل والنهار : ان فصول السنة وأسنان الناس وأبدانهم تتجزىء على سبعة بعدد السبعة الكواكب ، وبين تلك الاجزاء ثم جزءها على أربعة أربعة ، فأول الأسنان الصبي وهو معتدل من جوهر الهواء والدم ، وانما سبق سلطان الدم لاعتداله ولأنه منه تكون التربية والفرح والنشاط ، ولأنه في البدن بمنزلة الماء المربي للأشجار ، وهو متهيء لقبول الاشكال كالشمعة والطينة اللينة التي تتصور منها ما صورت ، فاذا انقضى سن الصبي بقيت الحرارة على حالها لأنها فاعلة وتضعف الرطوبة لأنها منفعلة ويجيء اليبس فيقوم مقامها ، ثم يجيء سن الشباب الذي هو حار يابس ، ثم تضعف الحرارة أيضا لأنها قد دبرت سنين الصبي والشباب ، ويجيء البرد فيقوم مقام الحر ويكون ذلك سن الكهولة التي هي باردة يابسة،

ثم يبقى البرد على حاله لأنها فاعلة أيضا وتضعف اليبوسة لأنها منفعلة ويجيء سن الشيخوخة وهي باردة رطبة ، فهـذه علة انتقـال الانسان وتغير قواها ٠

فأما الفصول فهي أربعة ، ولكل فصل ثلاثـة أشهر ، وثلاثة نجوم ، وان استواء الليل والنهار الذي يكون بعد الشتاء هو أول الربيع ، وان طلوع الثريا هو أول الصيف ، وغروب الثريا هو أول الشتاء ، وانه في أول الشتاء تزرع الزرع وفي آخره تغرس الغروس ، وان في أول طلوع الكلب وهو الشعري يدرك أول الثمر ، وذكر ان الكلب يطلع في وسط الصيف ، فأما فصول السنة الربيع ، وهو معتدل يشبه الدم والهواء ، وله ثلاثة بروج وثلاثة شهور ، وشهوره آذار ونيسان وأيار ، وبروجـه الحمل والثور والجوزاء ، وفي أول دخول الشمس الحمل يستوي الليل والنهار فيصير كل واحد منهما اثنى عشر ساعة ، ثم يأخذ النهار في الزيـادة على الليل ، ويأخذ الليل في النقصان الى أن تأخذ الشمس من الجوزاء ، فاذا خرجت منه جاء زمان الصيف وهو حار يابس ، وله ثلاثة بروج وشهوره حزيران وتموز وآب ، وبروجه السرطان والأسد والسنبلة ،

ـ في أول دخول الشمس أول درجة من السرطان يكون النهار خمس عشر ساعة والليل تسع ساعات ، وذلك أطول ما يكون النهار وأقصر ما يكون الليل ، وهذا فصل الصيف ، ثم يأخذ النهار في النقصان والليل في الزيادة الى أن تخرج الشمس من السنبلة ، فاذا خرجت منها جاء زمان الخريف ، وهو بارد يابس أرضي وله ثلاثة أشهر وثلاثة بروج ، وشهوره أيلول ، وتشرين الاول ، وتشرين الثاني ، وبروجه الميزان والعقرب والقوس ، وفي أول دخول الشمس الميزان يستوي الليل والنهار وهو الاستواء الثاني ، ثم يأخذ الليل في الزيادة على النهار ويأخذ في النقصان الى أن تخرج الشمس من القوس فيصير الليل خمس عشر ساعات والنهار تسع ساعات ، وذلك أطول ما يكون الليل وأقصر ما يكون النهار ، ويدخل عند ذلك زمان الشتاء ، وهو بارد رطب بلغمي مائي وله ثلاثة شهور ، وثلاثة بروج ، فشهوره الكانونان وشباط ، وبروجه الجدي والدلو والسمكة ، وفي أول دخول الشمس الجدي يأخذ النهار في الزيادة والليل في النقصان الى أن تخرج الشمس من السمكة فتدخل الحمل فيعود الاستواء الاول ، فهذا فعلها أبد الدهر ، كلما بلغ النهار

غايته في الزيادة أخذ حينئذ في النقصان ، وكلما بلغ غايته في النقصان أخذ حينئذ في الزيـادة فكذلك الليل وكل حال من حالات الدنيا ، فان القمر اذا امتلأ أخذ في النقصان ، واذا صار في المحاق أخذ في الزيادة ، وانما يزيدان الليل والنهار اذا زادا ، وينقصان اذا نقصا في كل يوم جزء من ثلثين أجزاء من ساعة ، وفي كل شهر وكل برج ساعة واحدة ، لأن النهار انما هو من طلوعها الى غروبها والليل من غروبها الى طلوعها ، والشمس مقامها في كل برج شهر لأنها تقيم في كـل برج ثلاثين يومـا ، وقطعها البروج الاثنا عشر هي السنة ، والساعة الواحدة هي جزء من أجزاء الليل والنهار ،والصيف هو صعود الشمس في فلكها ، والشتاء انحطاطها الى جهة الجنوب ، والربيع هو أخذها نحو الصعود ، حتى يستوي الليل والنهار ، فلذلك يعتدل عند ذلك الحر والبرد ، فأما الخريف فأخذها الى الانحطاط في جهة الشمال ، فالأزمنة والشهور والدهور والساعات والمواقيت وتغير الزمان من حال الى حال ، انما هو كما ترى بحركات الفلك الأعظم وبتحريكه ما دونه وتحريكه الشمس وبنقلها في فلكها ٠

الأغذية وما ينبغي أن يقدم منها أو يؤخر :

نلاحظ أن أبقراط يولي الناحية الغذائية اهتماما كبيرا ، ويوصي بما ينبغي أن يقدم منها ، وما ينبغي أن يؤخر فيقول : ان الناس في دهرنا هذا أخذوا من الطعام فوق طاقتهم فهلك كثير منهم بذلك ، وخلطوا الطعام القوي بالطعام الضعيف ، واللين مع اليابس ، فلما استقر ذلك في معدتهم انهضم اللين وبقي اليابس في المعدة ، وتولدت منه الامراض فصاروا يغتذون بطعام السباع ، فلما كثرت فيهم الامراض تجنبوا عند تزايد العلة الطعام الغليظ الذي نسميه طعام السباع ، فانتفعوا بذلك .

وينبغي أن يؤكل أولا ما لان من الغذاء ثم يؤكل بعده اليابس ، لأن الطعام اللين ينهضم سريعا ويسهل خروجه ، ويخرج اليابس بعده ، وللأغذية أربعة حدود ، أولها وقت الغذاء ثم مرتبته ، ثم كميته ، ثم موافقته ، فأما الوقت والمرتبة فان لا يأخذ طعاما الا بعد ما يستمري الطعام الاول ، ويبدأ بما لان من الثمار مثل التين والخوخ والبطيخ ، وبعدها الفواكه القابضة ، ولا يبدأ باليابس من

الأغذية قبل ذلك ، لأن الغذاء اللين المريء ينهضم قبل اليابس البطيء الاستمرار ويطلب مخرجا ، فان لم يجد المخرج فسد وأفسد ما كان تحته من الغذاء اليابس ، وأما الكمية فان لا يأخذ من الغذاء الا بقدر قوة الانسان وشهوته ، وأما الموافقة فان يحفظ مزاج الجسم بما يشبهه ويوافقه من الغذاء في حال صحته ، ان كان المزاج حارا اغتذي بأشياء حارة ، وان كان باردا اغتذي بأشياء باردة ، فأما من كانت معدته مفرطة الحرارة فليأكل أولا أشياء باردة مثل السمك المعمول بالخل والكراويا ، ومن كانت معدته مفرطة الحرارة واليبس، وكان مهزولا فليأكل أولا الاشياء اللينة مثل التين واللوز والاسفيدباجات ·

في مرض أهل كل سن وفي كل فصل :

قال أبقراط : ان أكثر ما يصيب الاطفال من المرض قروح الفم ولين البطن ورطوبة الأذن وسهر وسعال ، وأفيلبسيا وهو الصرع ، وعلة ذلك كثرة رطوباتهم وضيق مجاري أبدانهم ، فاذا خرجت أسنانهم عرض لكثير منهم وجع اللوزتين والأنثيين والخنازير ، واذا راهقوا اعترى كثيرا منهم حميات

مزمنة ورعاف ، فاذا شبوا أصاب كثيرا منهم نفث الدم وقروح الرية والصرع ، وعلة ذلك عفونة الدم وحدته فيهم ، واذا اكتهلوا أصابهم البواسير والبهر والموم وهو الزكام ووجع الجنب ، وقروح الرية ، وعلة ذلك فساد السودا وما يبقى فيهم من فضول الصفرا ، واذا شاخو أصابهم تقطير البول وسهر وفالج وضعف البصر ووجع الكلي وسمال ورطوبة العين والأنف ، وعلة أكثر ذلك رطوبة تفسد عصبهم .

ويهيج في كل فصل من فصول السنة ما يشاكل طبيعة ذلك الفصل من العلل ، فأكثر ما يهيج في الربيع علل الدم ، وفي الصيف علل الصفرا ، وفي الخريف علل السودا ، وفي الشتاء علل البلغم ، ولأن كل فصل ممتزج بالفصل الذي قبله وبعده فقد يعرض في كل فصل بعض أمراض الفصلين اللذين يتصلان به أعني الذي قبله والذي بعده .

علامات الأمراض الباطنة :

يرى أبقراط ان الدلائل على الامراض الباطنة سبع ، الاول منها من المنظر ، كما يدل صفرة اللون

وبياض الشفة ، وورم القدم على برد الكبد ، وكما يدل سواد اللون وبياض الشفة على ورم الطحال ، ويدل حمرة الوجه مع الحمي الحارة علـى ورم الرية ، ويدل صفرة اللون والعين على اليرقان ، والثاني مـن جنس العضو بالألم ، مثـل أوجاع الرأس والامعاء والمفاصل ، ومثـل وجع الترقوة اليميني الذي يدل على ألم الكبد ، والثالث مـن اللمس والمس كمن يوجد في معدته صلابة أو في أسفل أضلاعه ورم مستدير ، فيدل ذلك على ورم الكبد ، وان كان الورم مستطيلا دل على ورم في عضل الكبد أو في الجلدة التي فوقها ، والرابـع ضعف العضو عن فعله كالمعدة اذا ضعفت شهوتها أو هضمها ، أو العين اذا ضعف بصرها ، والخامس مما يخرج من فوق ومن أسفل ، فانه ان خـرج بالسعال من عرق الرية ورباطاتها شيء دل ذلك على عفونة الرية لأنها رخوة يسرع اليها العفن أو يخرج في البراز مثل غسالة اللحم فيدل على ضعف الكبد ، وان خرج شيء يشبـه الجلـود دل على قرح في الأمعاء ، وان خرج في البول شبيه بالنخالة دل على قرحة في الكلية ، والسادس من مشاركة الاعضاء بعضها بعضا في الوجع ، والسابع أن يسئل المريض

عن علة الألم •

ويستدل علي الامراض من المرض نفسه مثل ذات الجنب فانه يدل علي نفسها ، ويستدل عليها من معرفة عادة المريض وغذائه وصناعته ولونه وبصاقه وبوله وبرازه ، وما يحدث فيه من خير أو شر بعد أن ينام وبعد أن يعرق ، لأنه ان أعقبه النوم خيرا فهو علامة الخير ، وان أعقبه النوم شرا فهو علامة الشر ، ومن الدلائل على الأورام الباطنة ان من ورم دماغه فلا بد أن يمسك كلامه ويصيبه ارتعاش ، ومن رمت ريته أصابه الخناق ، ومن ورم فم بطنه أصابه غثيان ، ومن ورم طحاله أصابه هزال البدن ، ومن ورم كليته أصابه عسر البول •

ومن كان كثير الخاط رقيق الزرع دل علــى كثرة رطوبة بدنه ورأسه وكثرة أمراضه ، وكان السقم أقرب اليه من الصحة ، ومن كان علي خلاف ذلك كان أصح بدنا لأن أكثر المفونات والفساد انما يكون من الرطوبات •

العلاج ووجوهه العامية :

يعرض أبقراط في كتاباته الى قانون العلاج

فيرى أنه ينبغي للطبيب أن لا يقدم على العلاج الا بعد معرفة الداء ، فاذا عرف العلة معرفة شافية عالجها بضدها ، ان كان المرض من حر برده ، وان كان من برد سخنه ، وان كان من يبس رطبه ، وان كان من رطوبة يبسه ، وان كان من الامتلاء أفرغه وأخرجه ، وان كان من افراغ كثرة ملأه بأغذية موافقة ، وان كان من تعب ودع البدن ، وان كان من خوف أو حزن أدخل عليه السرور والأمن ٠

وينبغي للطبيب أن يعتني بابطال علة المرض اولا ثم يعالج حينئذ المرض ، وان يعرف أشيـاء أولها مزاج المريض ، ثم سنه وغذائه في حال صحته ، وما كان معتادا له من كد أو دعة ، وان كان صانعا عرف صناعته في الماء هي أو بقرب النار ، وبلاده ومولده في وعور أو سهول ، أو في نجد أو جبال ، في بدو أو في ريف ، ويعرف حال والديه في الصحة والسقم ، فان أوفق الاشياء لكل أحد ما يولد منه واعتاده بدنه ، فان العادة طبيعة ثانية ، وان دودة السم ، ودودة الخل ، ان أخرجا عن السم والخل الى السمن والعسل هلكتا ، واذا كان مزاج المريض مفرطا في الحر عولج بدواء قوي في البرد ، وان كانت علته من برد شديد عولج بدواء قوي الحرارة،

وكذلك القول في غير الحرارة ، واذا عم الناس مرض واحد فالعلة حينئذ ليست من الأغذية بل من فساد الهواء ، فينبغي أن يلطف ليتغير الهواء ، وان يغدو الناس بلطيف الاغذية، ويخرج الفضول عن البدن·

ويرى أبقراط أنه ينبغي للطبيب أن يستعين على المريض بنفسه وبخدمه وبالذين من خارج ، وأما ما يجب على المريض فان ينتهي الى أمر الطبيب ولا يعصيه ، وأما الخدم فأن لا يخالفوا الطبيب ، ولا يؤذوا المريض ولا يضجرونه ولا يخبرونه بما يغمه أو يفرط في سروره فتضطرب لذلك طباعه ، وأما من خارج فان يسخن الهواء ان احتاج الى تسخينه ، أو يبرد ان احتاج الى تبريده ، وأن لا يخبره من يدخل عليه بشيء يغمه أو يغضبه أو يكسر قلبه فيزيده ذلك ضعفا ، وان لا ينبهه من نومه بضجة أو صياح يسمعه الا أن يكون مسبوتا فانه ينبغي حينئذ أن يخبر بكل ما يقلقه أو يغمه ويسهره ، وذلك انه تقع بين المريض والمرض مصارعة ومنازعة ، فان يعاون الطبيب والمريض وخدمه على المرض غلبوه ، وان أعان الطبيب أو خادمه المرض على المريض غلبه المرض ، وان اشتهى المريض بعض ما يضره بشهوة شديدة لم يمنع

منه لأن الطبيعة تهضمه لشدة شهوتها له ، وان كرهت الطبيعة علاجا نافعا للمريض لم يكره المريض عليه ، لأن الطبيعة لكراهتها لا تقبله ٠

علاج الأعضاء من الأمراض الحادة :

في حالة اصابة الاعضاء بالأمراض الحادة لا بد من الاعتناء بمعالجتها ورد المتغير منها الى مزاجه الطبيعي ، وينبغي محاولة نقل الداء أو المرض من فوق الى أسفل ، ومن اليمين الى الشمال ، ومن الشمال الى اليمين ، ومن الاعضاء الرئيسية الى الاعضاء الدنية ، وضرورة الانتباه الى معالجة الاعضاء الحسنة الجيدة الحس بغير ما يعالج به الاعضاء السيئة الضعيفة الحس ، ولا بد هنا من معالجة ما ظهر من الداء للعين ، وما كان من أعضاء مجوفة مثل المعدة والعروق بأدوية لينة لأن المنفذ الى مثلها سهل ، وما كان من المرض في غور البدن أو في عضو مصمت عولج بأدوية قوية لتقوي على النفوذ الى عمق العضو ،ومن الممكن محاولة التلطيف لاخراج الداء من أسهل مخارجه فيخرج من البطن بالاسهال ، ومن المعدة بالقيء ، ومن الصدر أو الرية بالسعال ، ومن الدماغ بالغرغرة ، والسعوط ،

ومن الكبد والطحال والكلية والمثانة باغزار البول، ومن البدن كله ان كان الدم غالبا بالفصد ، وان كان البدن ممتليا فبالاسهال واخراج العرق ، لكنه لا يخرج من الدم الا بقدر قوة المريض وامكـان الزمان لأنه ان أخرج الدم من شاب محرور في زمان الصيف زاده ضعفا ونهوكا .

يقول أبقراط : اذا عرض وجع في الرأس عولج بالقيء ، وان عرض في السرة وما دونها عولـج بالاسهال ، وهذا يعني أن موضع القيء أقرب الى الدماغ ، وموضع الاسهال أقرب من السرة ، والدواء من فوق ومن أسفل ، والدواء لا من فوق ولا من أسفل ، وينبغي أن يعالج في الصيف بالقيء وفي الشتاء بالاسهال ، لأن الصفراء تطفيء في الصيف عن المعدة ، ومن عرض له مغص من غير حمى وثقل في الركبة ووجع الصلب نفعه الاسهال ، لأن ذلك يدل على كثرة البلغم ، ومن عرض له وجـع في الصلب وظلمة العين ومرارة الفم من غير حمى نفعه القيء ، لأن علته من الصفراء ، واذا أصاب الداء الاعضاء الرئيسية القوية فهو رديء ، لأن الرئيسية القوية تدفع المرض عن نفسها الى الاعضاء الدنية الضعيفة فتمتل الضعيفة أيضا معها ، واذا كـان

الداء في عضو ضعيف ثم انتقل عنها الى الاعضاء القوية كان تحويله عنها أهون ٠

ويرى أبقراط أن ما نهك من البدن وهزل في زمان طويل فينبغي أن يرد الى حال صحته في زمان طويل ، وما نهك من البدن في زمان قصير فليرد الى حال صحته في زمان قصير ، أي من أفرق من مرض مزمن أطعم الطعام قليلا قليلا ، ومن أفرق من مرض قريب مثل اسهال كثير أو نزف دم أطعم طعاما كثيرا لترجع اليه قوته سريعا ٠

ان اخراج المادة في ابتداء المرض الحاد كما يقول أبقراط أفضل من اخراجها في انتهاء المرض، وهذا يعني أن الطبيعة في ابتداء المرض يكون مثل انسان قد عثر فهو محتاج الى من يقيمه ، واما في انتهاء المرض فان الطبيعة تضعف فلا تكاد تقبل الدواء ٠ ان الاطعمة اللطيفة جدا لا تنفع في الأمراض الحادة ولا في الامراض المزمنة ، فينبغي أن يطعم المريض الى اليوم الرابع أغذية لطيفة جدا مثل الماء الحار وحده أو ممزوجا بعسل ، ومن الرابع الى السابع بما هو دون ذلك في اللطافة مثل ماء الشعير ، ومن السابع الى أربعة عشر يوما بما

هو دون ماء الشعير في اللطافة مثل حسو البيض ، ثم بعد ذلك بما هو أغلظ من البيض مثل الكمك والبيض ، واذا كان المرض في الصعود فينبغي لزوم الأغذية اللطيفة الى أن ينتهي المرض ٠

أمراض الدماغ :

اتفق الحكماء والأطباء على أن أمراض الدماغ المتأتية عن أوجاع في الرأس تكون على ثلاثة عشر نوعا ، منها الصرع وهو افيلبسيا ، وسماه بعض الحكماء بالسماه أو المرض الكاهني لأن منهم من يتكهن ويظهر له الاشياء العجيبة ، ومنه الوحشة ، والوسوسة ، والهذيان ، وفساد الخيال والعقل ، والنسيان ، والتوحش في البراري مع الوحش ، والسهر ، والسبات ، والدوي ، والدوار ، والورم ، ويضاف الى هذه ستة أنواع أخرى من الصداع ، منها السنورتا ، والشقيقة ، وأربعة أنواع من الصداع تهيج من المزاجات الاربع ، ويجمع ذلك كله علتان ، اما أن يكون الفساد من النفس والدماغ وأما أن يكون بمشاركة المعدة والمراق ٠

ويقول أبقراط وهو يتكلم عن الدماغ : قد ينصدع حجاب الدماغ فيعرض منه ضربان شديد

ورعده ، ويبرد القلب ويسيل من المنخرين الدم ، فينبغي أن يسهل البطن ويحشو حشوا فاترا ، وانما ينصدع من شدة الحر أو من شدة البرد ، فان أصاب صفاق الدماغ قطع فلا بد من الحمى والقيء ، أما الحمى فمن شدة الوجع ، وأما القيء فلأن الرأس يجذب الصفرا ، ثم ينحدر ذلك الى المعدة ويهيج القيء ، وان أصاب الدماغ خدر وجد ضربان الأذن وثقلا في الرأس وكثرة البول ، وسالت من أنفه رطوبة ، فينبغي أن يحلق الرأس بالموسي ويربط عليه زقا مملوءا من ماء حار فكلما برد الماء سخنه ، وربما كثر البول لشدة حرارة الرأس ، لأن الحرارة تذيب ما فيه من البلغم فينحدر ذلك ويعرض منه تقطير البول ويضعف البصر ، وربما أصاب الدماغ ورم حار فلا يلبث أكثر من أربعة أيام فان نجى عولج بأدوية لينة مذيبة للمادة مثل عنب الثعلب وبابونج وبنفسج وبزر كتان يطبخ جميعا بالماء ، ويصب من مائه على الرأس ويحلب على الرأس لبن النساء ، ويسعط بلبن امرأة ترضع جارية من دهن بنفس ويلين البطن بخيار شنبر وزبيب .

الزكام وعلاجه :

الزكام ياتي عادة من الحر او البرد أو من

السدد ، فأما الذي يكون من الحر فعلى ضربين : اما من خارج واما من داخل : فأما ما يهيج من حرارة خارجة فانه يذيب رطوبة الدماغ ، وأما الذي يهيج من حرارة الدماغ فانه يجذب رطوبات البدن اليه ، فاذا كثرت فيه سالت الى الأنف ، والذي من البرد فانه أيضا على ضربين : اما من برد خارج أو من برد داخل ، فأما الذي يهيج من البرد الخارج فانه يحبس الرطوبات في الدماغ فتسيل ، وما كان من داخل فان الدماغ ينعصر به حتى تسيل الرطوبات من الأنف كما تسيل فضول البدن بالمشي ، ويستدل على العلة بالزمان والسن ومن حرارة ما يسيل أو برودة ، فان كانت العلة من البرد نفع منها أن يسخن الحجر ويرش عليه الخمر وينكب على بخاره وقد غطي الرأس ، وان كانت من الحر جعل مكان الخمر خل أحمر وينكب على بخاره ويصب على الرأس مياها باردة لطيفة مثل ما قد طبخ فيه البابونج والبنفسج والورد والنمام والمرزنجوش والشحم ، وينفع النوعين جميعا أن يدق القسط والشيونيز أجزاء سواء ويصير في خرقة كتان ويشمه ، أو يتدخن بالسندروس ، والكندر ، أو يتبخر بالطرفا فانه جيد ، ويستحم في

الحمام ، ويدهن اليدين والرجلين والمقعدة والانثيين بالأدهان الحارة ٠

يقول أبقراط : ان حدث زكام أو سقطت لهاة في وجع الرية فانهما يدلان على قوة الدماغ وصحته، فانه يخرج الفضول عن نفسه ، وربما فسدت رطوبات البدن ، وصعدت الى الرأس ، فيكون منه الزكام ، وان صعدت الى الحلق كان منه وجع الحلق ، وان سالت الى العصب وكانت غليظة فاسدة زجاجية كان منها الفالج ، وان سالت الى الرية كان منها الربو ، وان كانت مفرطة الفساد والبرد وخالطت الدماغ كان منها الصرع ٠

معالجة الحلق واللهاة :

قد تسبب أوجاع الحلق واللهاة المزيد من الأوجاع وتؤدي الى ارتفاع الحرارة ، لذلك يرى أبقراط ان من علاجها أن يوضع على الخرزة الأولى محجمة ويحلق الرأس ويكمد باسفنجة سخنة ، ويتغرغر بسداب بري ، وصعتر بري ، وكرفس ، أو برب الجوز ، ورب التوت ، أو بالدواء الذي يعمل بالخطاطيف ، وان جف الريق أخذت قضيبا

ورضضت طرفه وعوجته قليلا ولففت عليه الصوف وأدخلته في الحلق حتى تنقيه من البلغم اللزج ، وسهلت البطن بالايارجات وتتغرر بما وصفنا من الأدوية والاعشاب •

والأدوية التي تنفع الحلق واللهاة في بدء الوجع أدوية قابضة باردة ، وفي آخره أدوية مذيبة ، وفي أوسطه أدوية تقبض قبضا يسيرا مع تلين قليل ، فمما يبدأ به من العلاج التغرغر برب التوت وورد يابس والسماق والعفص والعدس وعصير لحية التيس ، وجلنار ، يطبخ بعض هذه التي سميناها ويتغرغر بمائه ، أو يسحق بعضها وينفخ منه في الحلق ، فأما في صعود الوجع فانه يتغرغر بماء التين المطبوخ ، فأما الأدوية التي تذيب المادة فان يتغرغر بماء قد طبخ فيه فوذنج ومرزنجوش وأصل السوسن مع ماء التين المطبوخ ، وأما اذا عتق الورم وغلظت المادة فينفعه أن يؤخذ من البورق والكبريت ومن الحلتيت ودار صيني ، يسحق ذلك ويخلط بماء الكشك والسكنجبين ويتغرغر به ، وينفع في أورام الحلق أن يتغرغر بلبن الاتن أو بلبن المعز ساعة يحلب مع شيء من بذر المرو المدقوق ، ويسخن قليلا •

وينفع من الخناق الذي يكون من الرطوبة أن يؤخذ من خرء الكلب وأجوده الابيض منه الذي قد أكل الطعام ، وشيء من مرارة الثور ويخلط بعسل ويطلى على الحلق بريشة ، والدواء الذي ينفع لأوجاع اللهاة الساقطة ، أن يؤخذ من جوز السرو وملح اندراني وأنوشادر وكلس غير مطفيء وسماق وعفص غير مثقب ، وأقماع الرمان ، وأقاقيا وعصارة هوفكسطيذاس وهو لحية التيس والشب وورق السوسن وشياف ماميثا وماميران وحضض ومر وثمرة الطرفا وعروق أصل الورد والنوره والجلنار ورماد الخطاطيف يدق ذلك كله وينخل وينفخ في الحلق مرتين في كل يوم بالغداوة والعشي فانه عجيب ، وان علق ذريحة من الذراريح في عنق من به وجع الحلق نفع ، وكذلك الحلتيت .

علامات علل الأمعاء والاستطلاق :

لم يغفل أبقراط أي نوع من أنواع الامراض والأوبئة التي تصيب الانسان ، الا وأشار اليه في كتبه ومؤلفاته ، ووصف له الدواء الناجع الذي يخلص المريض من مرضه ، ويعود به الى الصحة والعافية ، لذلك نراه يتحدث عن علامات

علل الأمعاء والاستطلاق فيقول :

اذا كان وجع البطن فوق السرة في الأمعاء الرقيقة كان الوجع أشد لقرب الأمعاء العليا من منابت العصب والحواس ، وان كان الوجع تحت السرة فهو في الأمعاء السفلى الغليظة ، واذا هاج ساعة وسكن ساعة فالعلة في الأمعاء العليا ، وان هاج الوجع والمشي في وقت واحد وخرج منه دم مختلط بدسم أو خراطة الأمعاء أو خرج ذلك من قبل أن يخرج الرجيع دل على أن في الأمعاء السفلى الغليظة قرحة ، لأن الامعاء العليا ليس لها شحم ودسم ، فان خرجت أولا مرة محترقة ثم من بعد ذلك شيء شبيه بالاغراس ومن بعد ذلك الدم فالعلة في الامعاء السفلى ، فان كان الدم مختلطا بالرجيع اختلاطا شديدا فالقرحة في الامعاء العليا،وان كان الاختلاط بالرجيع قليلا فالعلة في الامعاء السفلى ، وان خرج دم خاثر ودسم من غير ثقل وكان فيه شبيه بالجلد دل على أن في الامعاء السفلى قرحة ، لأن ذلك الجلد والخراطة انما هي من أجزاء الامعاء ، وان بدأ أولا وجع ثم كان الزحير ولم يخرج الا شيء يسير وعتق ذلك أقرح المعدة وخرج في المشي بعض أجزاء المعدة ، ويخرج قبح غير مختلط بالرجيع ،

ويدل شدة الوجع على حدة المادة التي هناك ، وان كان خروج الدم من الكبد فانه يخرج من غير وجع في الامعاء ويكون مثل غسالة اللحم الطري ويخرج من غير مغص الا أنه يجد نفخا وثقلا عند طرف الكبد ، وعلة ذلك ضعف القوة الهاضمة والحابسة جميعا .

ويقول الحكيم بقراط : من كان به زلق الأمعاء ثم تجشأ جشاء حامضا فهو خير لأنه يدل على أن الطبيعة قد قويت على النضج ، وان كان الاختلاف مثل الماء ثم صار مثل المرهم فهو رديء ، لأنه يدل على قرحة الاعفاج . وان كان رقيقا ثم تغـير الى غسالة اللحم فذلك رديء لأنه يدل على أن الكبد قد ضعفت ، ومن اختلف من قرح الاعفاج بشيء يشبه اللحم فذلك قاتل لأن الامعاء مطبقة بطبقتين ، احداهما لحم والأخرى عصب رقيق وتحت العصب جلدة رقيقة .وتحت الجلدة خام ، فاذا كان الاختلاف شبه الخام كان سليما لأنه انما يخرج ذلك الخام اللابس عليه ، وان كان فيه شبه الجلد الرقيق دل على أن العلة قد وصلت الى جلدة الامعاء وجردت منها الا أنه يرجى له البرء ، وان كان الاختلاف

شبيه اللحم دل على ان الداء قد وصل الى اللحم الذي في ظاهر المعاء فلا يرجى برئه ·

ومن كان به مرض من بلغم فأصابه اختلاف شديد فقد نجي ، ومن كان به اختلاف شديد فهاج به القيء طوعا فقد نجي ، لأنه يدل على أن الفضلة التي هيجت الخلفة قد انتقلت الى فوق ، ومن كان به خلفة عتيقة مع سعال فانه لا يبرء الا أن يعرض له ضربان شديد في رجليه ، وان كان في ساقيه ضربان شديد ثم اختلف بطنه سكن ذلك الضربان ، لأن الفضلة التي هيجت الضربان انحلت ونزلت ، ومن كثر بوله قل اختلافه لأن الفضلة التي كانت منها الخلفة قد دفعت الطبيعة بالبول ، ومن اختلف بشيء يشبه الدم الاسود كانت به حمى أو لم تكن فذلك دليل على سوء ، وكذلك ان اختلفت ألوانه من لون محمود الى لون رديء فذلك علامة شر لأنه يدل على ضعف الطبيعة ، وان خرجت السودا من فوق أو من أسفل فذلك علامة موت ، معناه ان الداء لا يصل الى السودا الا بعد أن يصل الفساد الى غيرها ، لأن السودا ركن من أركان البدن ، وفي أي مرض كان حادا كان أو مزمنا ان اختلف به السودا فانه يدل على سرعة الموت ، ومعناه ان ذلك

يدل على ان الداء قد وصل الى ركن البدن وقوته فلا حياة بعده ·

علامات علل الكلية :

وعن علامات علل الكلية يقول الحكيم أبقراط : اذا كان البول دسما سريع الخروج دل على ان الحرارة غالبة فيها فهي تذيب شحم الكلية ، واذا كان الماء أبيض وقل العطش دل على بردها ، وان احمر البول واصفر واحترق المني وذاب الشحم دل على فرط حرارتها ، وان كان البول في بدء العلة أبيض كدرا دل على وجود حصاة ، فاذا أخذ ينهضم بال شيئا يشبه الرمل فوجد له راحة ونفعه أدوية تنزل البول ، وان خرج في البول أولا قيح ثم دم ، أو خرج شيء يشبه قطع اللحم دل على أن دبيلة فيها ، وان خرج شبيه بالنخالة دل على ان الداء في المثانة ، وينبغي أن ينوم المريض على جنبه ، فان لم يجد فيه وجعا حولته الى الشق الآخر ، فان حس بوجع فهو دبيلة ، وينبغي أن يبادر بالعلاج فانهما غامضتان ، فاذا طال وجعهما لم يكد يبرأ ·

في البحرانات :

قال الحكيم أبقراط : ان كل شيء في هذا العالم مقدر على سبعة أجزاء ، فالنجوم سبعة ، والأقاليم سبعة ، وأسنان الناس سبعة ، أولها طفل ثم صبي الى أربع عشرة سنة ، ثم غلام الى احدى وعشرين سنة ، ثم شاب ما دام يشب ويقبل الزيادة الى خمس وثلاثين سنة ، ثم كهل الى تسع وأربعين سنة ، ثم شيخ الى سبع وستين ، ثم هرم الى منتهى العمر ، فالبحران بالفرج في الامراض الحادة يجري مجرى القمر في فلكه ، وكما أنه يتوقع الفرج في الامراض المزمنة في دور الشمس وأرباع السنة ، فكذلك يرجى فرج الامراض الحادة في دور القمر وأرباع الشهر ، والقمر يمتلي نورا في أربعة عشر يوما ، ونصف الاربعة عشر سبعة ، ونصف السبعة ثلاثة ونصف ، وذلك ربع الاربعة عشر ، فاليوم الرابع من ابتداء المرض يتم فيه الربع الاول الذي هو ثلاثة أيام ونصف ، ويبتدىء فيه الربع الثاني ويتم في اليوم السابع الربع الثاني فيكون ذلك نصف الشهر ، وفي اليوم الثامن يبتديء الربع الثالث ويكون في اليوم الحادي عشر تمام الربع

الثالث وابتداء الربع الرابع ، فاذا تم خمسة عشر يوما ثم أربعة أرباع النصف من الشهر .

وقد قلنا أن اليوم الرابع فيه ابتداء الربع الثاني ، ولذلك فاليوم الرابع من ابتداء المرض يدل على ما يؤول اليه حال المريض في اليوم السابع، ويدل اليوم السابع على الحادي عشر ، والحادي عشر على الرابع عشر . وهذا تمام نور القمر ، وهو يوم الامتلاء ، فان جاوز هذا الوقت في الأمراض الحادة دل على ان مادة المرض غليظة ، ويكون البحران الى أربعة عشر يوما في كل أربعة أيام مرة ، فان جاوز المرض عشرين يوما دل على خلط غليظ بطيء النضج فيكون البحران بعد عشرين يوما في كل سبعة أيام مرة أوله في اليوم العشرين ، ثم في سبعة وعشرين ، ثم في أربعة وثلاثين ثم في أربعين ، ولو جرى دور السوابع بعدد مستوي من عدد السوابع لكان مبدأ الاسبوع الثالث في اليوم الأحد والعشرين ، ولكنا نجد البحران الذي يكون في اليوم العشرين أصدق مما يكون في اليوم الأحد والعشرين ، ولذلك جعلنا في اليوم الاربعين بحرانا صحيحا ، ولم نجعل في اليوم الثاني والاربعين ولو جرى ذلك على عدد السوابع الصحيحة لوجب

أن نجعله في اليوم الثاني والاربعين ، لأنه تمام ستة سوابع ، فاذا ظهرت علامات الخير في الحميات الحادة في أيام البحران دل على الخير والسلامة ، وان ظهرت فيها علامات الشر والهلاك دل على الشر والهلاك ، وقد تخالط الامراض الحادة مع هذه الأيام التي ذكرنا أيام غيرها ، وكما أن الحمى الدائمة قد يظهر بحرانها في اليوم السابع ، فكذلك بحران الحمى التي تترك وتأخذ تظهر في الدور السابع ، وكما ان اليوم الرابع في المرض الحاد يدل على اليوم السابع فكذلك يدل الدور الرابع في المرض البطيء على ما يكون في الدور السابع ، وكذلك المرض الصيفي يتوقع اقلاعها في الشتاء،والامراض الباردة الشتوية يتوقع اقلاعها في الصيف ، لأن كل ضد يدفع ضده ، فأما الصبيان فيرجى لهم البرء من الامراض المزمنة الى أربعين يوما أو الى سبعة عشر أو الى سبع وستين أو الى أن يراهقوا .

ويرجى للاناث البرء من مثل تلك الامراض عند الحيض ، لأن هذه أوقات تقوى فيها حرارتهن وتنتقلن فيها من سن الى سن أخرى ، وما ظهر من البحران في الأفراد مثل الثالث والخامس فهو محمود، وما ظهر في الأزواج فرديء ، وانما يكون البحران

اما باسهال في يوم البحران أو بعرق أو رعاف ، أو بقيء ، أو نوم ، لأن ذلك كله يدل على أن الطبيعة قد قويت على المرض فخلعته ودفعته ، وان بقي في الجسد من المرض شيء بعد أيام البحران الفاضل فان المرض يعود ، والذين يقضى عليهم بالفرج في أيام البحران يشتد عليهم المرض في الليلة التي قبل حدة المرض وشدته ، وتكون الطبيعة في تلك الليلة في جهاد وصراع مع المرض حتى تقهره وتدفعه ويعتري لذلك المريض كرب وغم شديد ، واذا اثقل الليل على المريض يعني ان الليل بارد ويسد ببرده مجرى البدن ، ويمنع الفضول من التحلل ، فأما النهار فانه تحلل في حرارة الشمس تلك الفضول وتلطفها ، وتدخل بالنهار على المريض عواده فيلهونه ويشغلونه عن المرض .

الطبيب وتقدمه في معرفة المرض :

هذه الارشادات والنصائح التي يقدمها الحكيم أبقراط للأطباء حتى يتمكنوا من القيام بواجبهم نحو المرضى الذين يعالجونهم تنطلق من حرص أبقراط على تقدم المعرفة الطبية في كافة المجالات ، لذلك يقول : ينبغي للطبيب أن يتقدم في معرفة

أحوال الامراض ، وربما كان المرض عقوبة من الله ، لذلك ينبغي أن ينظر في وجه المريض وهل هو متغير عن حال صحته ويشبه وجهه وجه الأصحاء أم لا ؟ فانه ان تغير عن حال صحته فهو رديء ، وأما اذا كانت العيون غائرة ، والاصداغ منثمدة والآذان الباردة المتشنجة ، وشحوم الآذان المتقلبة ، وجلود الجباه المتمردة والألوان المخضرة أو المسودة كلها ردية تدل على الموت ، وهذا يعني ان هذه الخصال تدل على ضعف الحرارة الغريزية ، وانها قد عجزت عن الوصول الى الاعضاء الظاهرة فيبرد لذلك الدم ، واذا برد الدم ولم يصل الى الاطراف كما كان يأتيه من الغذاء ذبلت لذلك الاعضاء ويبست وتشنجت لأنها تعدم غذائها وحرارتها ، فيسود اللون من برد الدم وذلك مثل الدم الذي يهرق على الارض ، فاذا برد جمد واسود ، وان ابيضت العين وجرى منها الدم ، أو صفرت أحدتهما أو احولت وكان في بياضها عروق حمر أو سود ، أو لون السماء وجحظتا ، كان ذلك من علامات الشر والهلاك ، لأن خروج الدم من غير ارادة يدل على فساد القوة الماسكة ، واعوجاج العين يدل على انقلاب العصب الذي به يديرها ، وصفر العين يدل

على ذهاب القوة ، وظهور بياض العين بغير استطلاق يعرض أو خلفه دليل شر لأنه يدل على ضعف القوة المحركة للعين ، وأفضل نوم للمريض اذا نام على شقه الأيسر والأيمن ، وان تكون يداه ورجلاه وعنقه مائلة الى ما بين يديه قليلا وجسده رطب ، لأن ذلك شبيه بنوم الاصحاء ، فان رأيته مستلقيا على ظهره ويداه ورجلاه ممتدة فذلك دليل شر الا أن يكون ذلك عادة المريض لأنه يدل على أن البدن قد استسلم للهلاك ·

ان فتح الفم في النوم وتحريق الأسنان في الحمى من غير عادة ، ووثوب المريض من نومه كل ذلك دليل شر لأنه لا يثب من فراشه لا سيما في منتهى المرض الا من ضيق النفس أو ضعف أو وسواس ، فأما تحريق الاسنان فانه يكون من تشنج المضلات وشدة يبسها ، ومن حرك يديه كأنه يصيد بها شيئا أو يلتقط القذا أو انجل من الثياب أو الحائط ، كل ذلك علامة الموت لأنه يفعل ذلك لما يتخيل بين عينيه ، ولأنه تقوم في العين رطوبة سوداء تمنع نور العين من الانبساط فتعرض حينئذ ألوان الخيال على قدر لون تلك المادة وفسادها ، ويكون ذلك في وجع الرية وحميات حادة فترتفع المادة

الفاسدة الى الدماغ ، ويتخيل لـه ان على الحائط والثياب شيئا فيمد يده ليلتقطه ، واذا خرج العرق في الامراض الحادة في أيام البحران يدل على خير ، وان خرج في غير أيام البحران فرديء لأنه اذا خرج في يوم البحران فيدل على أن الطبيعة قد قويت وأذابت المادة .

وان بردت في الامراض الحادة مجسة البطن واليد والرجل وفي الجوف حرارة فذلك رديء لأنه يدل على ان الحرارة قد قصرت عن ظاهر الجسد واشتغلت بالجوف ، وان تقلصت البيضتان الى فوق دل على شدة وجع أو على الموت ، وعلى ان للقوة التي كانت تضبط الاعضاء قد ضعفت واسترخت ، واذا كان القيء أخضر كأنه السلق دل ذلك على الشر ، وكذلك الاسود والبصاق الاخضر الذي ليست له رغوة ، والاحمر الخالص ، والابيض اللزج المستدير ، كل ذلك رديء لأن الابيض المستدير يدل على أن الرطوبة قد يبست وانتشرت .

ووجع الأذن الشديد مع حمى شديدة يدل على الموت ، فان كان حدثا مات في سبعة أيام والشيخ أبطأ موتا بهذه العلة ، والذين تتركهم الحمى ان

لم يكن ذلك في يوم بحران أو ببحران جيد رجع المرض . والحمى بعد الامتداد أفضل من الامتداد بعد الحمى لأن الحمى اذا كانت بعده حللت الخام الذي تمتلىء منه مجاري البدن ، فالحمى يذيب الخام بحرارتها ويحلله وان كان بعد الحمى امتداد دل على أن الخلط الغليظ البارد قد غلب البدن وأطفأ حرارته ، ومن أخذته الحمى واشتد به الوجع في اليوم الثالث فانها تقلع عنه في اليوم التاسع ، فان عرق المحموم في اليوم الثالث والخامس والسابع والحادي عشر وغيرها من أيام البحرات فانه عرق جيد ، وان عرق في غير هذه الايام دل على طول المرض .

العلامات المتوسطة للخير والشر :

ان شر العلامات التي تضعف قوة المريض ، اذا رأيت المريض يثب من فراشه ويرشح العرق ويهرب الى المشيء فانه علامة سوء ، وان كثر اختلاف البطن وكان ذلك شبيها بغسالة اللحم ، وكثر القيء ، وكان ما يخرج أخضر أو هاج مع ذلك فواق فذلك علامة الموت ، واذا رأيت العرق باردا في الرأس والرقبة ، ولم يجد عند ذلك راحة فانه

من علامات الشر ، فان خرج عرق بارد وبال بولا أسود ودام ذلك ، وضعفت القوة فهو علامة سوء ، وان وثب المريض من فراشه واستوى نفسه فانه علامة سوء ، وان رأيت على البول سحابة مثــل الصوفة المتقطعة أو مثل غبار الندافين ، أو شيئا كنسج العنكبوت في أعلاه فهو علامــة سوء ، واذا اسود اللسان ويبست الشفة مع حمى حادة ، وكان نبض العرق مثل أسنان المنشار أو شبيها بالأمواج أو بدبيب النمل ، ورأيت في عروق عينيه الخضرة فذلك علامة سوء ٠

وأما العلامات المتوسطة فمثل الاسهال والقيء فانهما ربما دلا على الشر وذلك اذا كثرا وأفرطا جدا ، وربما دلا على قوة الطبيعة وعلى دفع الداء ، والعرق اذا خرج غير يوم البحران ربما دل على الموت وربما دل على طول المرض ، والبول الشبيه بالدم ربما دل على الخير وعلى خروج مادة المرض وربما دل على فساد الكلية ، وربما نام العليــل فاتحا عينيه فيدل ذلك على الفساد والشر ، وربما كان ذلك عادة المريض في صحته ، وربما هاج وجع في المعدة وامتد مراق البطن الى فوق ورأى أشياء سوء ، يتخيل له بين العينين وترتعد شفته السفلى

فيدل ذلك على ورم في الجوف ، وربما دل على أنه يعرض له القيء عن قريب ·

علل النبت والشجر والثمر :

قال أبقراط وهو يتكلم عن الزرع والجنين : ان الحبة اذا وقعت في الارض أخذت ما يشاكل جوهرها من الارض والماء ، فاذا ابتلت الحبة وانتفخت انشق ما يلي الارض منها ، وأرسلت فيها عروقا تقوم لها مقام الفم للحيوان ، وجذبت بتلك العروق المادة والغذاء الى جسمها فتطلع حينئذ رأسها ثم ترفعها حرارة الشمس الى فوق فتجذب ما فيها من الرطوبة ، فاذا كثرت الرطوبة انتفخ العود وأظهر الورق وتفرع ، ولا تثمر الشجرة ما دامت ضعيفة رقيقة الرطوبة ، فاذا قويت رطوبتها بانضاج الشمس اياها أثمرت حينئذ كالمولود الذي لا يحتلم الا بعد استحكام زرعه واتساع مجاري عروقه ·

ان الثمرة تكون من ألطف غذاء الشجرة وأفضله ثم تربي الشجرة ثمرتها بما تجذب اليها من رطوبة الأرض ، وانما تنضج الثمرة وتحلو بالشمس

والقمر ، وكل ثمرة لا تطلع عليها الشمس والقمر تكون حامضة أو مرة ، ولهذه العلة لا يكون التمر والسكر في البلدان التي تكثر ثلوجها وبردها ، والثمرة اذا كانت الغالبة عليها الارضية انعقدت في صلابة مثل المقل ، وكون ذلك شبيه بكون العظم في الحيوان ، وما كانت أرضيته ألين ومائيته أكثر مما في المقل كان اجتماعها وانعقادها في لين مثل التفاح والسفرجل والخوخ ، واذا زادت مائية الثمرة على أرضيتها لانت فكانت مثل العنب والرمان ، وما كثرت ولزجت رطوبتها جدا صارت كلها رطوبة جامدة مثل الموز ، لأن من شأن الماء أن يسيل سيلا فما كانت رطوبته أقوى وأشد تماسكا من رطوبة الموز وكانت فيه هوائية صار كالبطيخ الذي تدوره الهوائية التي فيها ، وما كان في غذاء الثمرة من دسم وصفاء فانها تنعصر وتستكن في جوف نواها ويكون منه زرع الشجرة وتوالدها كما تستكن الادمغة والمخاخ في العظم ثم يكون منها الزرع ويكون من الزرع التناسل ، وما غلظ من غذاء الثمرة اندفع الى ظاهرها وصار قشرا لها ، ومكانا لما لان ولطف من أجزائها ، مثل الجوز واللوز ، واذا كان الجزء الغليظ الذي في غذاء الثمرة ثقيلا

صلبا جدا ، وكان الجزء اللطيف منها رخوا سيالا غاص ذلك الجزء اللطيف في الجزء السيـال كما يغوص العظم في اللحم ، والنواة في الثمرة ٠

فأما علة العقد في الشجر فان النارية التي في الشجر تجذب الشجرة الى فوق ، والارضية التي فيها تجذبها الى أسفل فيرتفع النبت قليلا فيصير فيما بين حركته الى فوق والى أسفل عقدة بعد عقدة ، وكذلك كل متحرك من الاشياء الارضية لها بين كل حركتين وقفة وسكون ، فما كان من الشجر أرق مائيـة وأفضل هوائية كان أسرع ارتفاعا ونباتا وأقـل عقدا ، وما كان أكثر أرضية وأشد يبسا كان أكثر عقدا لأن الشيء الارضي الثقيل أبطأ ارتفاعـا ونباتا من الهوائي الخفيف ٠

فأما علة الشوك فافراط يبس الشجرة وذلك مثل مخاليب سباع الطير التي تحتد وتتعوج لشدة يبسها ، وعلة انشقاق الورق أن الورقة اذا انتهى ما فيها من الرطوبة التي بها تكون اتساع الورقة غلب حينئذ على أطرافها اليبس فتنشق ، فأما علة انتشار الورق في الشتاء فان الشجرة تجذب الغذاء والماء الى أغصانها بالحرارة والقوة التي جعلها الله

فيها ، فاذا جاء البرد هربت تلك الحرارة من الاغصان الى العروق وتبقى الاغصان خالية من الحرارة والرطوبة فيتناثر ورقها لانقطاع الغذاء عنها ، لأن البرد يجففها ، فاذا جاء الصيف وبردت بطون الارض هربت الحرارة من بطون الارض ومن العروق الى أغصان الشجرة وجذبت الرطوبة اليها ، لأن من شأن الحرارة أن تجذب الرطوبة الى نفسها فيكون من تلك الرطوبة الورق والثمر ، ويجذب كل ثمرة ما شاكل من حارة أو مرارة ، أو طيب ريح أو نتن الى نفسه ، أما ترى أنه يزرع زراع في ذراع من الارض الثوم والبصل والزعفران والمرزنجوش ، ويكون شربه وسقيه من ماء واحد ، فيجذب كل شيء من ذلك من جوهر الارض والماء ما يشاكله ثم يحوله الى جنسه فيصير مثله في لونه ورائحته وطعمه ، كما يجذب كل عضو من أعضاء البدن ما يشاكله من جواهر الاغذية ، وكما أن في كل عضو من اعضاء البدن قوة روحانية تغير ما تأتيه من الغذاء الى جوهر ذلك العضو ، فكذلك في كل شجرة ونبت قوة روحانية تدبره وتغير غذائه الى ما يشاكل جوهره ، وفيما قلنا بيان شاهد عدل ان في كل شجرة قوة جاذبة كما في الحيوان قوة

ماسكة تمسك فيها غذائها ، وقوة هاضمة تغير المائية التي تأتيها حتى تستحيل الى جوهرة الشجر وورقه وثمره ، وقوة دافعة تدفع فضول الغذاء الى الاصماغ التي لها بمنزلة العرق الذي يرشح من البدن ، والقشور التي هي بمنزلة الجلد ، ولولا ان القوة طالت ، والدليل على ذلك انه ان قطع عنها الماء لم يزد طولها ، التي تجذب الغذاء الى أطراف الاغصان لما تفرعت الشجرة ٠

واذا غرست القضبان انحدرت رطوبتها الى أسفل واتصلت بالأرض واتخذت منها عروقا تجذب بها غذائها من رطوبة الارض الى فوق ، وترفع حرارة الشمس تلك الرطوبة الى أعاليها وأطرافها ، فاذا كثرت فيها الرطوبة انتفخ القضيب انتفاخا وتورق ، وأيما كان من الشجر أبطأ ادراكا واثمارا فانه أطول بقاء وذلك مثل الجوز والزيتون والكمثرى ، وما أسرع ادراكه واثماره كان أسرع فسادا مثل الخوخ والمشمش وما أشبهها ، لأن سرعة ادراكه وارتفاعه انما يكون من مائية رقيقة ، وهوائية لطيفة تغلب عليه ويكون ابطاء ذلك من غلبة الارضية واندماج أجزاء الشجرة واكتنازها

مثل الآبنوس والشمشاد ، ولذلك يرسب الآبنوس في الماء .

في البلدان والمياه والرياح :

يرى أبقراط الحكيم ان الأبدان تتغير بتغير الأزمان وباختلاف البلدان والمياه ، ويتغير الزمان بمطالع النجوم ومغاربها ، وان معرفة الأزمان هي أصول الطب وأساسه ، وان الأولين كانوا يحكمون أولا معرفة حركات النجوم وآثارها ، ثم يتعلمون الطب ووصف قوة الريح وأفعالها ، وانها تقلع الشجر وتزعزع البحر والارض وتملأ ما بين السماء والارض فانها من علل الصيف والشتاء ، ويكون بها قوة النار والتهابها ، وسبب حياة الحيوان وصحة الابدان وسقمها وهي التي ان فقدها الناس وسائر الحيوان ساعة واحدة هلكوا .

أما المدن وحالات سكانها فيقول الحكيم أبقراط: الطبيب اذا دخل مدينة فينبغي أن يعرف موضعها أشرقية هي أم غربية ، شمالية أم جنوبية ، وأرضها أمعشبة هي أم جرداء ، وماؤها جار أو غير جار ، وصخري هو أو رملي عذب أو متغير ، وان تعرف

عادات أهلها وغذائهم وعيشهم في تعب وكد هو أم في سكون وراحة ، فان لزوم العادة يعين على حفظ الصحة ، وعلى معالجة الامراض ، والارض قسمان: أحدهما مسكون ، والآخر غير مسكون ، والمسكون منه قسمان : أحدهما مفرط الحر وهو جهة التيمن لأن الشمس يقرب منه فيلتهب هواؤه ، والآخر جهة الشمال وهو مفرط البرد لبعد الشمس عنه ، فكل مدينة موضوعة في جهة المشرق فهي أشد اعتدالا ، وأقل اسقاما ، لأن الشمس تصفي تلك المياه التي تجري من ناحية طلوعه ، والمدن الموضوعة بازاء المغرب تكثر أمراض أهلها لأن مياههم تكون كدرة متغيرة وهواؤها غليظ لأنه تبقى الرطوبات فيه وتغلظ لذلك مياههم أيضا ، والمدن الموضوعة على جهة الجنوب تكون مياهها حارة مالحة لينة تسخن في الصيف وتبرد في الشتاء ، وأبدان أهلها تكون رطبة لينة لما تتجلب الى البدن من رطوبات الرؤوس، وتكثر نساؤهم الاسقاط لكثرة رطوباتهم ، ولا يقدرون أن يكثروا من الطعام والشراب لضعف رؤوسهم لأن كثرة الشراب تغمر الدماغ وتغمره ، وقل ما تعرض لهم ذات الجنب والحميات الحارة لكثرة رطوباتهم ، والمدن الموضوعة على جهة

الشمال ، وعلى ازائه ، فان مياهها يابسة صحيحة وأعمارهم طويلة لصحة أبدانهم ، وقلة فضول الرؤوس والبطون ، وتكون أخلاقهم وحشية لغلبة المرة الصفرا عليهم ، ويقل حبل نسائهم لكنهم لا يسقطن لبرد الماء ويبسه ويلدن بشدة وصعوبة ليبسهن ·

وانما تتسع صدورهن لأن حرارتهن تهرب من برد مثل ذلك الهواء الى أجوافهن ، فتقوى حرارات قلوبهن ، وتتسع لذلك الصدور ، وانما تدق أرجلهم لارتفاع الحرارة عنها الى فوق ، ولهذه العلة تيبس رؤوسهم وتلين بطونهم ويكثرون الاكل اضطرارا ، ولا يكثرون الشرب لأنه لا يمكن أن يجمع الأكل والشرب ، وعلة ذلك ان البرد ييبس رطوبتهم فتكون بطونهم لذلك يابسة ، ويصيبهم ذات الجنب والحميات الحارة ليبس بطونهم ، ولأن الامراض الحارة انما تصيب أصحاب الابدان القوية ، واذا كانت المدينة معتدلة مثل الربيع في اعتدال حرها حسنت الوان أهلها وصفت أصواتهم ، وكثرت أعشابهم ، وقلت أمراضهم ، وكثر ولاد النساء والحيوان فيهم ، ولا يكون لهم حدة ولا نزق شديد ·

المياه وقواها :

يرى الحكيم أبقراط أن خير المياه ما نبع وجرى من ناحية المشرق، ويكون مثل ذلك من المياه الفاضلة أبيض براقا وخفيفا طيب الريح ليس بمتغير الريح جدا ويسخن سريعا ، ويبرد سريعا ، ويستدل بسرعة الاستحالة فانه يدل على غلظه ،وبعده عن المياه التي الاستحالة فانه يدل على غلظه ، وبعده المياه التي تجري بين مشرق الشمس الصيفي ومن مغرب الشمس الصيفي ، والمياه التي تجري من جبال الطين أفضل المياه وأصحها ، لأنها تكون حارة في الشتاء باردة في الصيف ملينة للبطن نافعة لأصحاب الحرارات . فأما المياه المالحة الثقيلة فانها تيبس البطن ، ومياه الثلوج والجليد ردية جدا لأن ما خف منها قد طار وصار الى وبقي أجزاؤه الغليظة ، لأن الشمس ترفع ما صفا من المياه الى الهواء فتبقى مفترقة فيه حتى اذا تكاثف ذلك وكثر عاد مطرا ، وترفع الشمس من أبدان الناس وغيرهم ما لطف من رطوباته ، ومياه الامطار خفيفة رطبة صافية جدا ، فأما مياه البطائح والسباخ فحارة غليظة في الصيف لركودها ودوام طلوع الشمس عليها ، فهي

تولد فيمن شربها المرة الصفرا وتعظم لذلك أطلحتهم وتفسد معدتهم ، وأكبادهم ، وتصير مناكبهم ووجوههم مهزولة ، لأن أطلحتهم تجذب أغذيتهم كلها فتعظم الأطحلة لذلك وتدق المناكب والوجوه ويصيبهم الربع والسل وتقصر أعمارهم .

ويعتقد أبقراط ان من زعم ان المياه المالحة تلين البطون فقد أخطأ خطأ بينا لأنها يابسة فهي تيبس البطن ، ومياه العيون التي تنبع من أرض حارة ردية ، والذين يشربون من ماء العيون،ومعادن الفضة والحديد ، والنحاس والكبريت ، والزفت والشبوب ، والنطرون يصيبهم عسر البول وكثرة الاختلاف لغلظة تلك المياه ، ولأن هذه الجواهر انما تتولد في الارض من شدة البرد ، فلذلك تذوبها النار ، وأجودها ما نبع من معادن الحديد ، لأنه يأخذ من قوة الحديد ، فأما الماء الحار فان من أدمن شربه يبس العصب ، وهيج الرعاف ، وان أفرط فيه قتله ، لأنه يرخي البدن ، ويفرق الحرارة الغريزية ، ومن أدمن البارد سود بشرته ، وهيج الكزاز والنافض ، لأنها تحبس الرطوبة في أبدانهم وتعفنهما ، وهو رديء أيضا للانسان ، والعصب ،

والعظم والدماغ ، لأن هذه أعضاء باردة ، والبارد يزيدها بردا ، فأما الماء الحار فانه نافع لهذه كلها ، ولكل عضو بارد ، واذا صببت الماء البارد نفع من الخراج الذي يضرب الى الحمرة ومن سيلان الدم والرعاف اذا صب حول الموضع •

ان الماء المالح ينفع من سدد الكبد والطحال ، والماء الكبريتي ينفع من القروح العتيقة ، ومن الجرب والحكة ، والماء البورقي ينفع من الجرب ، والماء الذي ينبع من معادن الحديد ينفع من لين البطن واسترخاء الاعضاء ، لأنه يصلبها ويقويها ، والماء الذي ينبع من معادن النحاس ينفع من رطوبات البدن والمعدة ويجففها ، والمياه المرة كلها تسهل البطن •

في الأرضين وألوان أهلها واخلاقهم :

يذهب الحكيم أبقراط الى أنه اذا كانت البلاد سمينة لينة كثيرة المياه ، حارة في الصيف باردة في الشتاء فان أهلها يكونون سمانا ضعافا رطابا لا يصبرون على الشدائد والتعب ، ولا يكون لهم ذكاء

ررفق في الصناعات ، وتكون أنفسهم واهنة ذليلة ، وذلك لأن أبدانهم ترطب وتسترخي يفعل ذلك بهم استرخاؤهم ، واذا كانت الارض جردا منهبطة تغرقها الامطار والسيول في الشتاء ، وتعطش في الصيف فان أبدان أهلها تكون جاسية دقيقة لطيفة، ولهم فطن ولطافة وعجب بأنفسهم وآرائهم ،ونجدة في الحرب وشجاعة ، ويشتد عصبهم ، واذا كانت الارض جبلية مرتفعة كثيرة المياه ، واختلفت الأزمان اختلفت صور أهلها وصبروا على الشدائد، وكان فيهم أخلاق السباع ، وتكون أبدانها أقوى من أبدان أهل البلدان الغائرة ، لأنهم يشربون مياها باردة صافية ، ويستنشقون هواء صافيا عاليا، ويتقلبون في بلاد مرتفعة شامخة بهيئة ، وتكون أشجارهم أيضا غلاظا صلابا ، واذا كانت البلاد غائرة منهبطة ذات شجر ملتف ، ورياح حارة ، ومياه فاترة ، كان أجساد أهلها عظيمة ، وألوان أهلها الى السمرة ، وشعورهم سود ، وأنفسهم فاترة، ولا يصبرون على شدة الكد ، وانما تسود شعورهم لغلبة الحرارة عليهم ، كما تحمر ألوان الترك لغلبة البرد عليهم ٠

واذا كانت البلاد مهزولة دقيقة الارض جردة قليلة المياه ، وهواؤها غير معتدل كان صدور أهلها جافية ممتدة ، وألوان بعضهم الى الشقرة ،وبعضهم الى السواد . ويكون لهم نزق وغضب شديد ، لا يستشيرون أحد ، وذلك لأن الارض اذا تتابع عليها تغير الازمنة اختلفت لذلك صور أهلها وأخلاقهم ، وتكون أولئك الذين ذكرنا مع شدة غضبهم أصحاب كتمان السر ، ومن الناس من يشبه في دقته وطوله جبلا دقيقا صغيرا قليل المياه والنور ، ومنهم من يشبه في عظم بدنه جبلا ملتفا بالشجر كثير المياه ، ومنهم من يشبه في قصره ويبسه أرضا يابسة جرداء لا تنبت .

الأهوية وتأثيرها في الأبدان :

قال الحكيم أبقراط : اذا كان بعض البلاد جبالا وبعضها صحارى ، كثر لذلك تغير الأزمنة فيها ، لأن الرياح والثلج تكثر في جبالها فيدوم فيها البرد ، ويقل الثلج في صحاريها ، فيسخن في السهول منها ، وكل بلدة تكون حرارتها أكثر من برودتها كان ألوان أهلها وشعورهم الى السواد ،

واذا كان بردها أكثر من حرها بشيء كثير كانت الوانهم وشعورهم الى الشقرة ، والبلدان الحارة أوفق للشيوخ لغلبة البرد عليهم ، والبلدان الباردة أوفق للشباب ، فاذا اعتدل هواء البلاد كان أهلها أصحاب كسل وجبن وضعف القلب ،لأن القوم الذين يختلف هواء بلادهم تعتاد أبدانهم الشدائد وتصبر أبدانهم على الحر والبرد ، فان أفرط اختلاف ذلك الهواء صارت أنفس أهلها وحشية لا تستقر .

فأما اذا اعتدل الهواء واعتاد القوم الدعة والسكون فانه يغلب عليهم الذل والجزع والخضوع، فأما من اعتاد خلاف ذلك من الشدائد والكد فان الغالب عليه الصبر والشجاعة ، وتغير حالات الهواء هو الذي يغير حالات الناس مرة الى الغضب ومرة الى السكون ، والى الهم والسرور ، وغير ذلك واذا استوت حالات الهواء استوت حالات الناس وأخلاقهم .

ان قوى النفس حسب رأي أبقراط تابعة لمزاجات الأبدان ، ومزاجات الأبدان تابعة لتصرف الهواء ، اذا برد مرة ، خرج الزرع مرة نضجا ،

ومرة غير نضيج ، ومرة قليلا ، ومرة كثيرا ، ومرة حارا ، ومرة باردا ، فتتغير لذلك صورهم ومزاجاتهم،واذا استوى واعتدل الهواء خرج الزرع معتدلا فاعتدل بذلك الصور والمزاجات ٠

الرياح والأزمنة والدلائل على الصحة والسقم :

يعتقد أبقراط الحكيم أن الروح المطبوعة فينا هي التي تجذب الهواء الينا ، وان الرياح تقلب الحيوان من حال الى حال ، وتصرفه من برد الى حر ، ومن يبس الى رطوبة ، ومن سرور الى حزن ، وانها تغير ما في البيوت من قرن أو عصب أو فضة أو شراب أو عسل أو سمن ، فتسخنها مرة وتبردها مرة ، وتصلبها مرة ، وتيبسها مرة أخرى ، وعلة ذلك أن الشمس والكواكب تغير الهواء بحركاتها ، واذا تغير الهواء تغير لتغيره كل شيء ، فمن تقدم وعرف أحوال الأزمنة وتغيرها والدلائل التي فيها ، عرف السبب الأعظم من أسباب العلل ، وتقدم في أسباب حفظ صحة الأبدان ٠

وقال أبقراط : ان الجنوب اذا هبت أذابت الهواء وبردته ، وسخنت الثمار والانهار وكل شيء

فيه رطوبة ، وتغير لون كل شيء رطب وحالاته ، وهي ترخي الأبدان والعصب ، وتورث الكسل ، وتحدث ثقلا في الأسماع ، وغشاوة في البصر ، لأنها تحلل المرة ، وتنزل الرطوبة الى أصل العصب الذي يكون به الحس ، فأما الشمال فانها تصلب الأبدان، وتصحح الدماغ ، وتحسن اللون ، وتصفي الحواس، وتقوي الشهوة والحركة ، غير أنها تهيج السعال ووجع الصدر ٠

ان الرياح العامية كما يقول أبقراط أربع : احداها تهب من المشرق وهي القبول ٠ والثانية تهب من المغرب وهي الدبور ٠ والثالثة من التيمن وهي الجنوب ٠ والرابعة تهب من الجربيا وهي الشمال ٠ فأما الريح التي تهب في بلدة دون بلدة فانها تسمى ريح بلدية ٠

وأخيرا يرى أبقراط أنه ينبغي لمن طلب علم الطب أن يكون ذكيا حسيبا في نفسه ، تاما في خلقته، جميلا في صورته ، نظيف البدن ، طيب الريح ، رحيما ، وقورا ، متصرفا في فنون الآداب ٠ ومن طلب علم شيء من الاشياء لم يستغن عن معرفة اربعة أشياء : أولها أموجود ذلك الشيء الذي يطلبه

أو غير موجود ، فان كان موجودا ، ما هو وكيف هو ، ثم لم هو ؟ فالطب شيء موجود لا ينكره الا مكابر أو معتوه · فأما ما هو فانه حفظا لصحة ونفي العلة ، وتمامه بأمرين هما العلم والعمل · فأما كيف هو ولم هو ؟ فان من عرفها عرف شيئا كبيرا شريفا ، وعاين فعل الطبيعة وحركتها ·

« تم الكتاب »

الفهـرس